دليل
الحضارة المصرية القديمة

عقيله شرين

دار الهدى للنشر و التوزيع

نبذة عن الكاتبة

عملت عـقيلة فـؤاد شـيرين لمـدة ثلاثون عـامـاً فى مـجال الإرشاد السياحى وكلفتها وزارة السياحة بتدريسـه بثلاثة لـغات أجنبية وهى الألمانية والفرنسية والإنجليزية لراغبى العمل به .
أصدرت خلال هذة الفترةعدة مطبوعات ومقالات بتلك اللغات التى أجادتها حيث أتيحت لها فرصة الإقامة من قبل لمدة عشـر سنوات بدول أوربية .
وتقديراً لإنجازاتها المـتميزة نالت جـائزة الدولة التى سـلمها لها السيد/ممدوح البلتاجى وزيرالسياحة
كما كرمتها مؤسـسة السـياحة ضمن أهم أربعة شـخصيات بقرار تم توزيعه على الوزارات وكافة الجهات المعنية باعتبارهم أبرز من ساهموا فى تنشيط السياحة المصرية ، وهـم الدكتور/ حسن رجب والمهندس/ حسن فتحى والدكتور/ نبيل سويلم .
إتجـهت الكـاتبة فى العشـرة أعـوام الأخـيرة إلى تكريس الجـهدللكتابة باللغة العربية لرغبتها الشديدة فى إفادة أبناء بلدها .

الكتاب: دليل الحضارة المصرية

المؤلف: عقيلة شـرين

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

الطباعة: مطبعة الراعي الصالح

الطبعة الثانية 2008

رقـــم الإيداع: 2008/9829

الترقيم الدولي: 9-071-442-977-978

شرين، عقيلة.

دليل الحضارة المصرية القديمة/ عقيلة شرين؛ ط2 – المنيا: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2008.

112ص؛ 20سم.

تدمك 9-071-442-977-978

1- الحضارة الفرعونية، أدلة

أ- العنوان

ديوي 932,25

جميع الحقوق محفوظة للناشر

المنيا ـ 5 ميدان الساعة

ت 0123454568 – 086/2377034

ت 0127899112 – فاكس 086/2377034

إهداء ..

أهدي هذا العمل إلى من أدين لهم بكل الفضل..

إلى والدتي/ بهيجة بهجت

ووالدي/ فؤاد شيرين

إلى زوجي الذي كان له فضل تشجيعي ومساندتي

على مدى حياتنا الزوجية الطويلة/ يوسف عاصم

"رحمهم الله"

إليهم جميعاً أهدي هذا الكتاب

عقيلة شرين

أهدي تقديري الكبير إلى الأستاذة عقيلة مشير سيد على المجهودات
العظيمة التي بذلتها في إخراج هذا الكتاب القيم الذي يحوي الكثير والكثير من
المعلومات التاريخية الهامة عن حضارة بلادنا العربية.

مقدمة

يسعى هذا الكتاب إلى تعريف القارئ المصري بتاريخ وحضارة بلاده المشرقة بجمالها، بطريقة يتجاوز معها ما تنطق به السطور إلى الشعور الصادق بالانتماء والتقدير العظيم لأغنى بقاع الأرض وأكثرها تحضراً ورقياً.

طفتُ فيما مضى بين العديد من البلدان الأوروبية، وقضيت فى بعضها أوقاتاً طويلة، تعلمت خلالها الكثير. وعشت أعوام طفولتى وصباى وسط عائلة فخورة بمصريتها، دائمة الحديث عن مصر والمصريين، فربطتنى الأحاديث الدائمة عن مصر بأرضها رغم بعدى عنها بسبب عمل والدى بالخارج، حتى كانت عودتى لاستكمال دراستى فيها، حيث أدركت معنى أن يكون لى وطناً كمصر، وأن أنتسب إلى شعب كهذا الشعب الذى يمنحك عطفه ومودته دون انتظار لمقابل.

وقد حاولت فى هذا الكتاب جاهدة أن أطوف بالقارئ عبر أهم حقب التاريخ المصرى، وبين أروع آثاره، وإنى لألتمس العذر فيما أكون قد أسهبت فيه من حديث عن ذكريات عملى الطويل بالإرشاد السياحى فى ثنايا هذا الكتاب.

وأخيراً أتمنى أن يجد القارئ فيما بين يديه جديداً، وأن أكون بذلك قد وفيت بجزء بسيط مما أدين به لهذا البلد وذلك الشعب.

عقيلة شرين

البداية

1

يبدأ التاريخ المدون للحضارة المصرية القديمة عام 3300 ق.م مع استكمال حروف الأبجدية الهيروغليفية التى مكنت المؤرخين من أخذنا إلى هذا الزمن البعيد، وإطلاعنا على دقائق أحداثه.

وقد وجدنا الكثير من الدلائل التى تشير إلى وجود حياة تسبق هذا الزمن وترجع إلى نحو سبعة آلاف عام. ففى هذا المكان الذى توجد به مصرنا الآن، كانت هناك صحراء مترامية الأطراف تغمرها مياه الفيضان المتأرجحة بين الغزارة والندرة. وحينما تجف المياه، تترك بصماتها بين التلال والمرتفعات على شكل عروق رفيعة غارقة فى الرمال، يمكن رؤيتها حتى يومنا هذا.

وعلى امتداد صحراء مصر شرقاً وغرباً، رسمت لنا العناية الإلهية

مشاهداً تبعث على الهدوء والراحة، تشكلها الأحجار التى تكسو ثراها والتى استمدت لونها من اختلاف المعادن المكونة لها: الحديد والنحاس و..

وعند شروق الشمس وغروبها تعطى الصخور تشكيلات مختلفة رائعة تجذب الناظر إلى التأمل فى قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

ومع توالى السيول لآلاف السنين، تمكنت المياه من أن تحفر لنفسها طريقاً حتى البحر المتوسط على شكل أفرع عديدة، وتدريجيا جاءت القبائل الرحل من مناطق عديدة، والتقوا على ضفاف هذا المجرى الذى عرف فى العصر الفرعونى باسم "حابى" إله الحياة.

وقد كانت التجمعات البدائية على جانبى النهر تعيش على صيد الأسماك والطيور وبعض الحيوانات البرية التى سرعان ما استأنسوا صغارها. وعرفوا الاستقرار حينما اهتدوا إلى زراعة الأراضى الخصبة من حولهم، قبل ظهور الصناعات الصغيرة شيئاً فشيئاً، حيث ظهرت صناعة الفخار والسلال، واستخلاص الألياف من الكتان وغزلها ونسجها والتى أصبحت من أكثر الصناعات تطوراً ودقة فى زمن الدولة الفرعونية القديمة حوالى عام 2500 ق.م.

وفى الوقت الذى كان فيه سكان الغرب لا يزالون يرتدون جلود الحيوانات، وصلت صناعة النسيج المصرى فى زمن الدولة الفرعونية الحديثة حوالى عام 1250 ق.م إلى الذروة، ويسجل معبد أبو سمبل عدة مشاهد تظهر فيها الملكة نفرتارى زوجة الفرعون رمسيس الثانى وهى ترتدى الملابس الشفافة ذات

الثنيات، ومن خلال هذا النسيج الرقيق الأبيض، يبدو جمالها الأخاذ وقد طوقت خصرها بشريط بنفسجي اللون، وراحت تستعد لحفل تتويجها من قبل آلهة الشمال وآلهة الجنوب بوضع التاجين على رأسها رمزاً للوحدة.

وفى الدولة الفرعونية العتيقة لم تكن الأقدام حافية، إذ كان المصرى القديم يعرف النعال أو ما يشبه الخف المصنوع من عيدان النباتات الرفيعة ومن لب سيقان البردى وبعض جلود الحيوانات. ومنذ أقدم عصور مصر التاريخية عرف المصرى القديم الحلى التى كانت تصنع من الذهب والنحاس والعاج والأحجار نصف الكريمة.

ولما كانت التجمعات الأولى على ضفاف النيل تحتاج إلى ما يشعرها بالأمان ويحميها من أخطار الطبيعة من حولها. كان التفكير فى العقيدة والقوى الإلهية، إذ اتخذ المصرى القديم من أشكال الأحياء من حوله رموزاً يشير بها إلى صفات الآلهة القادرة على المنح والعقاب، فكان: الإله "حورس Hours" فى شكل صقر، والإله "نخبت Nekhbet " فى شكل طائر العقاب، والإله "أنوبيس Anubis " فى شكل ابن أوى، والإله "سوبيك Sobek" فى شكل تمساح، والإله "سخمت Sekhmet" فى شكل أنثى الأسد. وعن طريق ما وصل إلينا من نقوش ومخطوطات تمكنا من التعرف على الكثير من المعتقدات الدينية للمصريين القدماء، وفى مقدمة تلك المعتقدات إيمانهم التام بالبعث والحياة الأبدية.

ومن أقدم المكتشفات الأثرية هياكل آدمية يعود تاريخها إلى أكثر من سبعة آلاف عام، تم العثور عليها فى منطقة "تل حسن داود"، وهى عبارة عن

مجموعة من الهياكل تستلقى على الجانب الأيسر فى وضع القرفصاء داخل حفرة بيضاوية الشكل. وقد قصد بهذه الهيئة، تمثل وضع الأجنة فى بطون أمهاتهم، والتأكيد على أن أصحاب هذه الهياكل سوف يبعثون مرة أخرى من رحم الأرض، حيث حفظت فى أغلب الأحيان، وطوال تاريخ مصر الفرعونية، مع المتوفى أعداد من الأوانى المليئة بالمأكولات والمشروبات، ووضعت فى يده وبجانب فمه بعض الحبوب بالإضافة إلى كل ما سيحتاجه المتوفى فى حياته الأخرى من أدوات شخصية ومنزلية تدل قيمتها على المرتبة الاجتماعية التى كان يتمتع بها فى حياته الدنيا.

وكانت فنون التحنيط تطوراً لتلك المحاولات البدائية لجعل جسد المتوفى فى وضع استعداد للبعث إلى رحاب الحياة الأبدية، وكان أيضاً تطور المقابر من مجرد حفرة فى باطن الأرض إلى ما اصطلح على تسميته بالمصطبة، فالهرم المدرج، ثم الهرم الكامل، ذلك البناء الشامخ الذى تشى عظمته بمدى اهتمام المصرى القديم بفكرة الحياة الأبدية.

تقييم التاريخ

حينما ابتدع المصرى القديم حروف أبجديته الهيروغليفية، بزغت شمس التاريخ، وحفظت المعابد والمقابر ما خطه الفنانون والمؤرخون من مظاهر الحياة فى مصر الفرعونية بكل ما زخرت به هذه الحياة من ثراء وانتصارات ورقى وتحضر. لقد خلف المصرى القديم شعباً وفراعنة، من البصمات ما استحال على الزمان إخفاء تفاصيله وتغييب معالمه.

الكاهن والمؤرخ "مانيتو Manetho"

عاش مانيتو فى أواخر العصر الفرعونى وأوائل العصر البطلمى الذى مهد لقيامه الإسكندر الأكبر بانتصاره على الفرس وقدومه إلى مصر محاولاً أن يعيد لأرضها بعض ما كان الفرس قد نهبوه من تماثيل ومخطوطات.

وفى مصر كان أول ما فعله الإسكندر الأكبر الذهاب إلى المعابد المصرية، ليقدم لآلهتها القرابين، حيث اعتبر نفسه ابن الإله "زيوس آمون" كما أنبأه آمون رع فى معبد سيوة. وعقب وفاة الإسكندر وتقسيم إمبراطوريته، استقر بطليموس لاجوس فى مصر، وحكم أرضها كفرعون مصرى مفتخراً بجنسيته المصرية التى اختارها لنفسه. ومع بداية حكمه، طلب بطليموس من الكاهن المصرى مانيتو كتابة تاريخ مصر وحوادث أيامها، فعكف مانيتو على قراءة كل ما أمكنه الإطلاع عليه من لفائف البرديات ونصوص المقابر والمعابد، ونتج عن ذلك كله تقسيمه لتاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثة دول هى:

1- الدولة العتيقة: وتبدأ من عام 3300 ق.م حيث تشمل الأسر الملكية من الأولى وحتى السادسة.

2- الدولة الوسطى: وتبدأ من عام 2100 ق.م حيث تشمل الأسرتين الملكيتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

3- الدولة الحديثة: وتبدأ من 1580 ق.م حيث تشمل الأسر الملكية من الثامنة عشرة وحتى الثلاثين.

أما عن الأسر الغير مذكورة، فهى أسر حاكمة عاشت فى أزمنة اضمحلال وتراجع حضارى فى الفترات التى فصلت ما بين عصور الدول الثلاثة، فقد جعل مانيتو بين الدولة العتيقة والوسطى ما أسماه: "عصر الاضمحلال الأول" حيث سادت الفوضى، وعمت الاضطرابات، وبات من الواضح تفكك وضياع السلطة الحاكمة فى البلاد. ومع نهاية الأسرة الثانية عشرة، وبسبب تدخل عنصر أجنبى تمثل فى غزوات الهكسوس الرعاة، انقسمت السلطة فى البلاد، وكان ما أطلق عليه مانيتو "عصر الاضمحلال الثانى".

أهم ما يميز الدول الثلاث

أولاً - الدولة القديمة:

كان المصرى فى بداية عهد الأسرات يستخدم بعض المواد البسيطة فى عملية البناء مثل سيقان الغاب والأخشاب والطوب اللبن. ومع بداية الأسرة الثالثة ظهر انقلاب فى هذا المجال إذ قام "إيمحوتب" مستشار الملك زوسر وأحد أبرع المعماريين على مر التاريخ باستخدام الحجر فى البناء لأول مرة، حيث كان هرم سقارة المدرج أول مبنى حجرى عرفه العالم.

وإلى جانب براعته الهندسية والإدارية كان "إيمحوتب Imhotep" طبيباً حاذقاً، وكانت له فى سقارة عيادة لعلاج المرضى بقى منها اليوم بابها المرصع بالقيشانى الأزرق، والمعروض فى متحف برلين.

أما الملك زوسر صاحب الهرم المدرج فله تمثال يعتبر أقدم صورة آدمية

محفورة على الحجر بالحجم الطبيعي. وقد وقع اختيار الفراعنة لهضبة سقارة – هذا المرتفع الذى يبلغ طوله نحو مائة كيلومتراً – لكى يقيموا عليها سبع مجموعات هرمية بسبب تميزها بارتفاع شاهق يحول دون وصول مياه الفيضان إلى المقابر. وبدءاً من عهد الأسرة الرابعة كان يوجد لكل من هذه المجموعات الهرمية معبدان، أحدهما فى الوادى حيث تقام عملية التحنيط والآخر بجوار المقبرة ويسمى المعبد الجنائزى حيث تقام الطقوس الدينية الخاصة بعملية الدفن.

وقد أحاط إيمحوتب هرم الملك زوسر المدرج فى سقارة بمجمع رمزى كبير يمثل العاصمة منف، وفى الأسرة الرابعة جاء الملك سنفرو والد الملك خوفو، وقام ببناء ثلاثة أهرامات تتدرج فى هندسة البناء من الزاوية الحادة أكثر مما ينبغى فى ميدوم، إلى الهرم الناقص فى دهشور، وأخيراً الهرم الأحمر الذى جاء بناءً هرمياً كاملاً لا تشوبه ثمة عيوب حيث تم به اكتمال المثالية فى بناء الأهرامات.

ومن بعد سنفرو جاء الملك خوفو، وانتقى هضبة الجيزة حيث شيد هرمه المشهور بارتفاع 147 متراً، وهذا الهرم هو الوحيد الباقى حتى اليوم من "عجائب الدنيا السبع"، وإذا كان هرم خوفو قد اعتبر رمزاً لقمة الفن المعمارى فى هذه الدولة، فإن قمة فن النحت تظهر بوضوح فى تمثال الملك خفرع المعروض بالمتحف المصرى، والمنحوت من حجر الديوريت الشديد الصلابة، ويعتبر ذلك التمثال أهم تماثيل المتحف من حيث الإتقان والبراعة.

ولا يفوتنا فى هذا السياق ذكر أنه كما كان فراعنة الدولة العتيقة بناءين

عظماء، كانوا أيضاً محاربين أشداء، ورجال حكم وإدارة على درجة عالية من التميز. ويذكر التاريخ أن الملك سنفرو كان قائداً حربياً مرموقاً استمرت حملاته الحربية على حدود مصر الشرقية زمناً طويلاً حتى قيد له النجاح في تأمين أراضي سيناء.

عصر الاضمحلال الأول

دام ذلك العصر نحو مائتى عام، سادت خلالها الفوضى التى لم تعدم أن يكون لها وجه مضيء، تمثل في كثرة شكاوى الشعب المصرى من أوجه الخلل المنتشرة من حوله في ذلك الوقت. وقد أدى هذا إلى تعود أبناء الشعب المصرى على كتابة الشكاوى، وبالتالى على الكتابة بشكل عام، فصاروا يكتبون ويصفون كل ما حولهم ساخرين من أوضاعهم المتردية، مما أدى إلى ظهور الفكاهة والقصص الشعرى حتى أصبح ذلك العصر برغم ما اتسم به من فوضى شاملة من أزهى عصور الأدب الفرعونى، الأمر الذى يتضح من قصص "سنوحي المصرى" و"الفلاح الفصيح".

ثانياً - الدولة الوسطى:

شهد عصر الدولة الوسطى استمراراً لنهضة الأدب الذى ازدهر وتطور خلال عصر الاضمحلال الأول، كما كشفت مقابر تلك الدولة طوال عصرى الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة عن تقدم مذهل ومستوى رفيع في صناعة كافة أشكال الحُلى والمشغولات الذهبية والفضية المطعمة بالأحجار الكريمة. وقد حكم

ملوك هذه الدولة بأسماء إمنمحات وسنوسرت، وقاموا بتأسيس مدينة طيبة – الأقصر الحالية– وبنوا بعض معابدها المكرسة لعبادة الإله آمون قبل أن ينتبهوا إلى بُعد عاصمتهم عن حدود دولتهم فى الشمال، ويقرروا الرحيل إلى الفيوم التى صارت عاصمة للبلاد، حيث جُففت المستنقعات حول بحيرة قارون واستُصلحت الأراضى هناك، وتم بناء القصور والمساكن والمعابد للإله سوبيك.

أما عن مقابر تلك الدولة فقد بقيت على شكل أهرامات غير أنها لم تُبن بالإتقان الذى كانت عليه فى عهد الدولة العتيقة. ومن الأهرامات الباقية من ذلك العصر، هرم "اللاهون" وهرم "هوارة" الذى بُنى من الطوب اللبن المكسى بطبقة من الحجر الجيرى تعلوه قمة مثلث من البازلت المنقوش بكلمات هيروغليفية هى عبارة عن اسم وألقاب الفرعون. وقد حفظ لنا الزمن فى عاصمة تلك الدولة بقايا المعبد الشهير باتساعه، والذى يعتبر من عجائب الدنيا القديمة والمسمى لكثرة حجراته "اللابرانت Labirgnth" أى قصر التيه.

عصر الاضمحلال الثانى:

ظهرت على مسرح الاحداث فجأة أعداد كبيرة من المهاجرين الرعاة، هاجموا الحدود الشمالية لمصر. ومن اللافت للنظر أنهم تمكنوا بالرغم من مقاومة المصريين لجموعهم من أن يستولوا على شمال البلاد بفضل استخدامهم الجياد التى لم يكن المصريون قد عرفوها بعد، غير أنهم حينما أرادوا التوغل جنوباً، تحطمت عزيمتهم الحربية على صخور مقاومة أهل الجنوب، بزعامة أمراء طيبة.

ففى الشمال حيث يتفرع النهر إلى عدة أفرع كونت ما يسمى اليوم بالدلتا، وجد المصريون فى خصوبة أراضيهم ورغد معيشتهم ما دفعهم فى ذلك الوقت إلى حياة الاسترخاء والدعة، مما سهل على المغيرين احتلال بلادهم، أما أهل الجنوب الذين يقتاتون من زراعتهم لشريط ضيق من الأرض الخصبة على جانبى النهر، فقد كان لزاماً عليهم أن يكدحوا حتى يمكنهم البقاء، مما أورثهم قوة العزيمة والقدرة على التحدى، وهذا ما جعل محاولة الأعداء الاستيلاء على أراضيهم تنتهى بالفشل، الأمر الذى تكرر بعد ذلك كثيراً. فكلما أراد غاز البلاد بسوء كانوا هم من يدافع عن كرامتها بفضل استعداداتهم الحربية الفطرية، وقوتهم الجسدية التى اكتسبوها من معيشتهم الخشنة.

حاول الغزاة طويلا فرض سيطرتهم على جنوب البلاد، ولم يتركوا فى سبيل ذلك وسيلة تمكنهم من التحرش بأهل الجنوب دون أن يستنفذوها، إلى حد مخاطبة قائدهم أمير طيبة مدعياً " أن أصوات أفراس النهر فى طيبة تقلقه وتمنع عنه النوم فى شمال الدلتا"!!

وعلى الرغم من كل المحاولات والذرائع، تصدى شعب الجنوب وأمراء طيبة لهؤلاء الغزاة الذين أطلق عليهم المؤرخ "هيرودوت Herodot" اسم الهكسوس وهى تسمية مأخوذة عن التعبير الهيروغليفى " خك حسوت" أى الملوك الرعاة. وقد دلت طريقتهم فى إدارة شئونهم فى مصر على صحة هذه التسمية، وأوضحت أنهم ليسوا إلا مجموعات همجية محاربة لم يصيبوا من أسباب الرقى والتحضر شيئاً يذكر.

وبعد عدة جولات من الحروب المستمرة، تمكن المصريون فى الجنوب من تربية الجياد، وظهر فى هذا الوقت اختراع العجلة الحربية التى استخدمها كل من الجانبين فى غاراته على الجانب الآخر.

انتهى الصراع الطويل بانتصار أهل الجنوب بعد استشهاد عدد كبير من قوات وأمراء الجنوب مثل "كاموس Kamos" و"سقنن رع Sakenen-ra" الذى تُظهر لنا مومياؤه بالمتحف المصرى أنه قتل فى ساحات المعارك، وهو فى نحو الأربعين من عمره، بإصابة في الجمجمة وقطع غائر عند الجبهة، وما زال تعبير الألم الشديد واضحاً فى تقلصات عضلات فمه ووجهه حتى اليوم.

ثالثاً - الدولة الحديثة

تمكن أحمس من الإجهاز على جيوش الهكسوس، ومطاردة فلولهم إلى ما بعد حدود مصر الشمالية، ولا ننسى هنا أن نذكر دور ثلاث ملكات قمن بالوقوف بجانب الملك وكان لهم فضل العون والمؤازرة طوال صراعه مع الغزاة هن جدته ووالدته وزوجته، فقد حدث خلال تتبعه لفلول الهكسوس الهاربة صوب الشمال أن أعلنت بعض طوائف الجيش المصرى تمردها على حكمه واتخذت لنفسها آلهة أخرى خلاف آمون إله طيبة، غير أن الملكة سارعت بإنهاء التمرد ونجحت فى إعادة المتمردين إلى صفوف جيش الفرعون من جديد.

أسس الملك أحمس الدولة الحديثة حوالى عام 1580ق.م، فوحد تحت حكمه الوجهين القبلي والبحرى حيث أصبحت طيبة مرة أخرى عاصمة للبلاد،

ومنها ازدهرت الحضارة المصرية القديمة فى جميع مجالاتها، حيث وصفت طيبة بالمدينة ذات المائة باب بعد ما قام ملوكها فى الدولة الحديثة والذين حكموا بأسماء آمنحوتب وتحتمس بفتوحات عظيمة، جلبت إلى مصر الغنائم والنفائس، وأعداداً لا تحصى من الأسرى كان من بينهم عدد من الصناع والفنانين الذين أدى احتكاكهم بفنون مصر فى ذلك العصر إلى إكسابها أبعاداً جديدة وآفاق أكثر رحابة. وقد كان هناك عنصر آخر أثر تأثيراً بالغاً فى تطور الفنون المصرية فى عصر الدولة الحديثة، وهو الحرية التى مُنحت لطوائف الشعب فى زمن إخناتون –آمنحوتب الرابع– حيث انتهز الفنانون المصريون هذه الفرصة، وابتعدوا عن المثالية، وتعمدوا فى كثير من الأحيان عدم الالتزام بالنسب المعروفة لما ينقشونه أو يرسمونه مما جعلهم يبدعون نماذج صارخة بالمبالغة الساخرة، فكانوا بذلك أول من مهد لظهور فن "الكاريكاتير" فى سجل الآداب والفنون العالمية.

واستمراراً لاستثمار الحرية والثورة على التقليد فى هذا العصر، تطورت كافة ألوان الفنون، وسبقت فى التفاصيل والرقة أى زمن آخر من أزمنة الجمال المصرى. وفى نفس الوقت كان هناك تيار متدفق من الإبداع الأدبى استطاع أن يصل إلى درجة عالية من العمق والتجريد. وباختصار أصبحت طيبة هى المدينة التى يصبو إليها كل طالب علم من جميع بقاع العالم.

وفى عهد الدولة الحديثة ظهر تغير كبير فى طريقة تشييد المقابر مقارنة بالدولة العتيقة، حيث كانت الأهرامات عرضة للنهب نظراً لتكدس الكنوز بحجراتها، وكانت أيضاً بشموخها وضخامتها دليلاً للصوص الباحثين عن

الثراء. وكان أول من تنبه إلى ضرورة تغيير طريقة بناء المقابر الملكية هو الفرعون تحتمس الأول الذى تخير موضعاً قفراً يصعب الوصول إليه، وجاء بالبنائين، والفنانين والكهنة، لينحتوا له مقبرة فى صخور الوادى غرب طيبة، فى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم "وادى الملوك"، والتى ظل فراعنة الدولة الحديثة منذ ذلك الحين يحفرون قبورهم فى صخورها.

ويعود الفضل فى تخطيط وتنفيذ مقبرة تحتمس الأول فى وادى الملوك إلى مهندسه المصرى " انينى". ومن الجدير بالذكر هنا أن جميع المبانى الحياتية فى مصر الفرعونية كانت تُقام فى الجانب الشرقى من النهر، بينما تُشيد الأبنية الجنائزية كالمقابر والمعابد الجنائزية فى الجانب الغربى، وذلك تمثلا لرحلة إله الشمس "رع" من الشرق إلى الغرب، فمثلها تكون رحلة الإنسان شروق وحياة فى الجانب الشرقى، ثم أفول ورحيل فى الجانب الغربى.

2

الآثار المصرية فى القاهرة وضواحيها

المتحف المصري

يحتوى المتحف المصرى على أكبر مجموعة من الآثار المصرية القديمة، على الرغم من أن بلاداً كثيرة تملك عدداً وفيراً من هذه الآثار التى تعد الركيزة الأساسية لأهم وأكبر متاحف العالم ،مما يدل على ثراء الحضارة الفرعونية ووفرة ما خلفته لنا وللعالم من آثار هى بحق درة ما تحتويه واجهات عرض متاحف الدنيا.

ومن أهم المعروضات بالمتحف المصرى لوحة نرمر "مينا"، وتعتبر من أقدم الوثائق التى تعود إلى زمن الأسرة الأولى، وفيها ما يدل على أول توحيد ناجح لشمال مصر وجنوبها. وهناك صورة آدمية من الحجر بحجم يقارب الحجم

الطبيعى للملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة، وصاحب الهرم المدرج فى سقارة. وهناك أيضاً تمثال للملك خوفو صاحب هرم الجيزة، وهو أصغر تمثال لمشيد أكبر، هرم حيث لا يتعدى ارتفاعه ثمانية سنتيمترات نحته الفنان المصرى من العاج.

ومن أهم مقتنيات المتحف المصرى "حجر رشيد" الذى استطاع العلماء من خلاله فك ألغاز الخط الهيروغليفى، وإن كانت النسخة المصرية منه نسخة مقلدة، إذ ترقد النسخة الأصلية فى أحد متاحف لندن. وبالمتحف أيضاً مجموعة تماثيل من حجر البازلت للملك منكاورع من الأسرة الرابعة بصحبة إلاهة السماء، ورمز آدمى مجسم لأحد الأقاليم "المقاطعات" المصرية، وتعد هذه المجموعات تحفة نادرة الإتقان، ويرجع تاريخ نحتها إلى حوالى عام 2500 ق.م، أما أهم تماثيل المتحف على الإطلاق فهو تمثال الملك خفرع المصنوع من حجر الديوريت.

وعبر إحدى ممرات المتحف المصرى نصل إلى كنوز "توت عنخ آمون" الأشهر بين آثار العالم أجمع، والتى تحتوى على قناع وتابوت من الذهب الخالص، إلى جانب العديد من قطع الحلى المصنوعة من المعادن النفيسة والأحجار الكريمة. وهناك أيضاً بعض تماثيل الملكة حتشبسوت التى حكمت متضامنة مع ثلاثة ملوك قبل أن تستقل بالحكم كفرعونة للبلاد طوال اثنين وعشرين عاماً، ونلاحظ أن كثيراً من تماثيلها ورسوماتها أصيبت بالتدمير والتشويه على يد تحتمس الثالث الذى كانت قد أبعدته عن حكم البلاد، فلما توفيت أراد أن يمحى آثارها بهذه الطريقة ظناً منه أنها لن تبعث ثانية بعد تدمير كل صورة لها.

وتحتمس الثالث ذلك الملك الشاب الذى يوجد له بالمتحف تمثال جميل

من حجر البازلت، وتوجد له أيضاً لوحة صغيرة متواضعة، نعرف منها أنه قام بحروب عديدة حقق خلالها سبعة عشر نصراً، وابتدع من الطرق الحربية ما استلهمه واستفاد منه فيما بعد بعض المحاربين العظماء من أمثال الإسكندر المقدونى ، ونابليون بونابرت، وروميل، ولعل الرئيس الراحل محمد أنور السادات وجنوده قد استلهموا ابتداعه لصيحة الجيش الجماعية فى حرب أكتوبر1973م، عندما انطلقت الحناجر بصيحة "الله أكبر" خلال معركة تحرير سيناء.

وفى إحدى حجرات المتحف المصرى يمكننا أن نستعرض آثار الملك آمنحوتب الرابع المبشر بعبادة الإله الواحد الخفى المنزه، والذى بدل اسمه من آمنحوتب الرابع إلى إخناتون وأطلق على إلهه اسم "آتون". وقد منح إخناتون لشعبة حريات كبيرة فقام الفنانون بتحدى التقاليد الموروثة فى تصوير الفرعون الذى كان يعتبر بحسب التقليد المصرى من السلالة الإلهية، وفى نفس الحجرة يوجد الرأس نادر الجمال للملكة نفرتيتى والمنحوت من حجر الكوراتس، وهو الحجر الذى يميل لونه إلى الاحمرار، فيقترب بذلك من لون البشرة الطبيعية للإنسان، وكان إخناتون قد عبر عن حبه الشديد لزوجته الملكة نفرتيتى بأجمل مقطوعات الشعر.

وعلى مقربة من مقتنيات إخناتون توجد اللوحة التى سجلها الملك مرنبتاح ابن الملك رمسيس الثانى، وبها نبذة عن حياته، ومنها نتعرف على الزمن الذى عاش فيه وهو حوالى 1200ق.م. ونتجاوز لوحة مرنبتاح إلى المجموعة الملكية للفرعون آمنحوتب الثالث وزوجته الملكة "تى"، وهما والدا إخناتون،

حيث يطالعنا تمثال آمنحوتب الثالث صاحب معبد الأقصر الشهير وبجانبه زوجته التى كان لها شأن عظيم فى وضع بذور الوحدانية فى عقل ابنها، كما كان لها دوراً إدارياً بارزاً فى عهدى زوجها وابنها، وقد جئ بذلك التمثال الضخم المنحوت من كتلة واحدة من الحجر الجيرى من الأقصر، حيث كان يتصدر واجهة القصر الملكى.

مجموعة زوسر

يوجد هرم سقارة المدرج وسط مدينة رمزية بنيت كلها من الحجر، وقد نقلت تفاصيلها من العاصمة فى هذا الوقت، لتتخذ فى الحياة الأبدية كمدينة لروح الملك عند البعث، وقد كانت هذه المدينة المصغرة صورة للمدينة الحقيقية عندما احتفل الفرعون بمهرجان السنة الثلاثين لحكمه، وهو المهرجان الذى يحاول فيه الفرعون أن يثبت أمام شعبه قدراته الجسمانية والذهنية التى تؤهله للاستمرار فى الحكم كفرعون للبلاد.

أما الهرم المدرج فشيد بطريقة فنية معمارية غير مسبوقة، وكان بهيئته الهرمية المدرجة تمهيداً للشكل الهرمى الكامل الذى شيد فى عهد الأسرة الرابعة.

وقد كان الفرعون فى بداية عهد الأسرات يمتلك كل شئ فى البلاد، ثم جاءت الأسرة الخامسة، وانتقل الحكم للكهنة الذين أعطوا لبعض فئات المجتمع المصرى حق التملك مما أدى إلى ظهور نسق من المقابر على هيئة مصاطب

للشخصيات المرموقة مثل مقبرة "تى" و"بتاح حتب" و"مرى روكا" وغيرها.

وتزخر رسومات تلك المقابر بمشاهد منحوتة وملونة لما يصبو إليه المتوفى فى العالم الآخر – الجنة، وهى مشاهد تشبه كثيراً أجمل ما فى الحياة اليومية، ففى مقبرة بتاح حتب قاضى القضاة فى الأسرة الخامسة، نشاهد أحدهم وقد راح يستقبل القرابين من الزهور والأقمشة الرفيعة- ثنايات من البليسيه – بينما ينشر أحد الكهنة البخور لطرد الأرواح الشريرة من المقبرة. ثم نرى مشاهد من الحياة اليومية مثل بقرة تضع وليدها بمساعدة أحد الفلاحين، إلى جانب مشاهد أخرى تبين كيف كان المصريون يمارسون رياضة المصارعة بأوضاعها المختلفة، وكيف كانوا يشتغلون بفلاحة الأرض وعصر الزهور والزيوت، ونرى كذلك هذا القاضى جالساً أمام مأدبة من الفواكه وحول المائدة يتحلق عازفو الموسيقى، بينما يقوم أحد الأفراد بتقليم أظافر يدى وقدمى سيده، فيما يدلك آخر أجزاءً من جسده، وأخيراً نرى ما يمكن أن نعتبره أقدم توقيع على عمل فنى فى التاريخ، إذ صور رئيس الفنانين نفسه جالساً فى أحد المراكب، وتخبرنا الكلمات التى تصاحب الرسم بأنه القائم بتصميم لوحات المقبرة. وبصفة عامة تمنحنا مشاهد تلك المقبرة فكرة واضحة عن الحياة المتطورة التى كان يعيشها المصرى القديم فى ذلك الزمن السحيق، هذه الحياة التى يصعب على أحد اليوم تصور مدى ما كانت تتمتع به من رقى وتحضر وثراء.

العاصمة القديمة "منف MENPHIS"

شُيد فى منف - أحد أقدم عواصم مصر الفرعونية - معبد ضخم لعبادة الإله بتاح، لا تزال بقاياه قائمة حتى اليوم، ومن بين هذه البقايا، تمثال من الحجر الجيرى للملك رمسيس الثانى يبلغ طوله نحو خمسة عشر متراً، كان قائماً إلى جوار تمثال أخر من الجرانيت أمام المعبد تكريماً لثالوث منف "بتاح وسخمت وابنهما نفرتوم". وعلى مقربة من تمثال رمسيس الثانى يوجد تمثال رائع من الألابستر لجسد أسد ورأس آدمى، رمزاً للجمع بين القوة والحكمة، ومن المرجح أنه من عصر الأسرة الثامنة عشر التى تميزت تماثيلها بالدقة وإتقان النسب التشريحية.

وقد أجريت فى معبد منف وحوله حفريات كشفت عن عدد كبير من التماثيل التى تنتمى إلى مختلف العصور، إذ أن الفراعنة تقرباً لآلهة منف حرصوا على أن يضيف كل منهم إلى المعبد مبنى أو تمثالاً جديداً. وفى المعبد أيضاً توجد منضدة من الألابستر كانت تستخدم فى تحنيط العجل "أبيس" الذى يمثل الإله بتاح، وهى فى حالة جيدة.

تطور بناء الأهرامات

كانت مجموعة زوسر الهرمية فى سقارة تطوراً بالغ الأهمية لفن تشييد المقابر الملكية فى مصر الفرعونية، ثم جاء الملك سنفرو ليمثل بمحاولاته المتتالية أهم حلقة من حلقات ذلك التطور.

أهرامات دهشور واللاهون

على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً جنوبى القاهرة، أقام الملك سنفرو أول أهراماته الثلاثة فى منطقة اللاهون من ثمان مدرجات تعلو بعضها بعضاً، وسرعان ما تبين له أن زاوية البّناء حادة وشديدة الانحدار مما أدى إلى انهيار الغلاف الخارجى للهرم فيما بعد، ومن المكن اليوم زيارة هذا الهرم من الداخل وكذلك مشاهدة بقايا معبديه.

وبعد فشل المحاولة الأولى، حاول سنفرو تلافى ما وقع من أخطاء، غير أن المحاولة الثانية لم يكتب لها النجاح أيضاً، فقبل أن يكتمل الهرم، تم اكتشاف بعض الأخطاء فى نسب البناء مما جعل سنفرو يأمر بعدم إتمامه والتحول إلى بناء هرم ثالث هو الهرم المعروف باسم "الهرم الأحمر". ولأول مرة تحققت النسب المثالية فى ذلك الهرم الذى يعد أول بناء هرمى كامل فى مصر القديمة، وكلا الهرمين الناقص والأحمر يوجدان فى منطقة دهشور.

أهرمات الجيزة

اختار الملك خوفو هضبة الجيزة التى تمتد حتى منطقة الفيوم بطول مائة كيلومتراً موضعاً لإقامة مقبرته الشهيرة، وهناك بدأ العمل بتسوية أرض البناء، وتم حفر تجويفات مربعة لأحجار الأركان، وكذلك حفر ممر هائل ينتهى بحجرة الدفن على عمق واحد وثلاثين متراً تحت سطح الهضبة، وهى الحجرة التى لم تستخدم لأسباب لا نزال نجهلها حتى اليوم.

وبعد تمام التجهيزات تم وضع أحجار البناء فوق بعضها البعض. الأحجار الضخمة والتى يزن الواحد منها حوالى خمسة عشر طناً فى القاعدة، ومن فوقها أحجار أقل وزناً وهكذا حتى يصل وزن الحجر فى أعلى البناء إلى حوالى اثنين ونصف الطن، وقد جئ بهذه الأحجار من موضع قريب من الهضبة، ولملء التدرج الناتج عن البناء الحجرى تم عمل كساء خارجى أملس بواسطة أحجار منقولة من منطقة جبل المقطم، وبذلك ارتفع هرم خوفو إلى مائة وسبعة وأربعين متراً، وبفعل عوامل التعرية، ومع مرور الأعوام والقرون، تآكلت قمته بمقدار عشرة أمتار.

يوجد المر الداخلى للهرم الأكبر فى الواجهة الشمالية وهو يؤدى إلى حجرة الدفن على ارتفاع واحد وأربعين متراً حيث يوجد التابوت الحجرى المصنوع من جرانيت أسوان، أما جدران حجرة الدفن فمشيدة من نفس نوع حجر التابوت وإن كانت أكبر حجماً إذ يبلغ وزن الحجر فيها نحو ستين طنا كاملاً، وقد وجد اسم الملك خوفو مدوناً بلون أحمر على جدران حجرة صغيرة تعلو حجرة الدفن.

يقول المؤرخ هيرودوت 450 ق.م " إن بناء هذا الهرم قد استغرق عشرين عاماً، واشترك فى العمل به نحو مائة ألف عامل، وقبل البدء فى عمليات البناء، اشترك نفس عدد العمال ولمدة عشرة أعوام فى بناء ممر صاعد للهضبة".

ولكل الأهرامات التى بنيت فى عهد الأسرة الرابعة معبدان، أحدهما المعبد الجنائزى، والآخر معبد الوادى، وهما عادة ما يكونان متصلين بممر صاعد.

فعند وفاة الفرعون كانت المركبة الجنائزية تحمل جثمانه من العاصمة منف عن طريق مجرى مائى إلى أن تصل لمعبد الوادى، وهناك تقام طقوس التحنيط وبعض الطقوس الأخرى التى من شأنها أن تضمن للمتوفى البعث إلى الحياة الأخرى بحسب المعتقدات الفرعونية، وبعد تمام تلك الطقوس يحمل الجثمان ومعه كل ما يمكن أن يحتاج إليه المتوفى بعدما تعود له الحياة عبر الممر الصاعد المسور من كلا الجانبين بالإضافة إلى السقف الذى يحتوى على فتحات طولية تسمح بمرور الضوء والهواء.

وعلى الرغم من ابتداع الفراعنة للكثير من الحيل فى إخفاء حجرات دفنهم، تمكن اللصوص من دخول حجرة الدفن بالهرم الأكبر عن طريق حفر ممر غير الممر الأصلى المغلق بكتل صخرية شديدة الصلابة.

وبعد أن تم دفن الملك خوفو، أودعت المركبة الجنائزية - مركبة الشمس - فى موضع كان قد خصص لها إلى جوار الهرم، وتعد هذه المركبة تحفة نادرة تشهد بالمهارة الفائقة لصانعيها الذين قاموا بحياكة الألواح الخشبية بعضها إلى بعض بطريقة ظهر معها المركب من الخارج وكأنه قطعة واحدة، وقد كان الفراعنة يعتقدون أن هذه المركبة سوف تستخدم فى رحلة المتوفى مع إله الشمس.

(أذكر أننى كلفت يوما بمرافقة مجموعة سياحية رسمية من اليابان، وكان على رأسها وزير خارجية هذا البلد، وفى منطقة الأهرامات، وفجأة وبينما انشغلت بشرح كل ما يتعلق بهذا البناء المعجز، إذا بوزير الخارجية يتوجه إلىَّ قائلاً: "يطيب لى أن أسجد

فى هذه البقعة من الأرض، وأقبل ثراها الذى حمل كل هذا الإعجاز" وخفض رأسه منحنياً أمام هرم خوفو).

أبو الهول

استخدم فى بناء هرم خفرع أحد المحاجر القريبة، وبعد تمام البناء تبقى من ذلك المحجر كتلة حجرية ضخمة، أستغلها الفنان المصرى فى نحت واحد من أروع التماثيل على مر التاريخ وهو تمثال "أبو الهول" الذى يرمز إلى الإله "هارمايكس" أحد أشكال إله الشمس، ويبلغ طول التمثال أربعة وسبعين متراً، وارتفاع رأسه بدون التاج الذهبى الذى اندثر، يتجاوز الاثنين وعشرين متراً، وبين مخالبه الأمامية توجد لوحة المنام الشهيرة التى تحمل قصة الفرعون تحتمس الثانى، وتبين كيف أمكنه أن يعتلى العرش بمساعدة الكهنة.

وقد ظل أبو الهول منذ نحته حارساً للمدينة الجنائزية دون أن يتفوه بكلمة، حتى أمكن للتكنولوجيا الحديثة أن تنطقه بالعديد من اللغات فى عروض الصوت والضوء، وإن كنا إلى اليوم لم نزل نتساءل: ماذا تراه يقصد بالتعبيرات الغامضة التى ينطق بها وجهه، والتى تتبدل مع تغير الإضاءة الواقعة عليه من الشمس؟

مدارس السجاد فى سقارة

فى طريقنا إلى مدينة الموتى المهيبة "سقارة" لابد أن نتوقف قليلاً لكى نتعرف على إحدى المدارس الرائدة، أو لنقل مجموعة المصانع الهامة لصناعة الكليم والسجاد.

ففي سبعينيات القرن الماضي عاد إلى مصر بعض أبنائها المغتربين، وتمكنوا من إقامة عدد من المدارس الصغيرة لصناعة الكليم على طريق سقارة، وسرعان ما تطور الأمر حتى صارت اليوم مجموعة من المصانع الكبيرة التي تنتج أفضل المصنوعات وأعلاها قيمة. ومن نقل المشاهد البدائية التي نراها عادة في اللوحات الزيتية، تطور العمل في تلك المصانع إلى إبداع لوحات فنية غاية في الروعة والجمال ودقة الصنع.

المتحف القبطي

بنى المتحف القبطي معتمداً على القطع الأثرية التي جمعها "مرقص سيميكا باشا"، بالإضافة إلى ما تم جمعه من الكنائس والأديرة، مع بعض ما كان يمتلكه الأفراد. وبتضافر كل هذه الجهود أمكن افتتاح المتحف للزيارة عام1931م. وقد شيدت المكتبة الخاصة بالمتحف في عهد الملك فاروق الأول، وفي عهد الرئيس حسني مبارك تم تطوير وترميم المتحف بالإضافة إلى جميع المباني القبطية في مصر القديمة.

يحتوى البهو الأول في المتحف القبطي على قطع أثرية من أوائل زمن المسيحية في مصر، وقد كان عدم الاستقرار في ذلك الوقت سبباً في ألا تظهر أي رموز مسيحية على هذه القطع التي اتخذت من قصص الآلهة اليونانية والرومانية موضوعات لها، وقد اتسمت رسومات ذلك العصر بعمق ووضوح نحتها.

وشيئاً فشيئاً بدأت الرموز المسيحية في الظهور على استحياء، ممتزجة

فى أحيان كثيرة بعناصر الفن الفرعونى، ونلاحظ أن عمق النحت يقل رويداً رويداً قبل أن تظهر الرسومات الملونة، ويظهر الصليب وعناقيد العنب والسمكة "أكسوز Ikthus " التى تكون حروفها باللغة الإغريقية الأحرف الأولى لجملة تمدح السيد المسيح، وكان المسيحيون الأوائل يرسمون السمكة ويتعرفون على بعضهم البعض بهذا الشكل قبل استقرار المسيحية فى مصر.

ويوجد بالمتحف القبطى مشهد للخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أمام كبش الفداء، كما يوجد مشهد من الفيوم يحكى قصة آدم وحواء وكيف أن الشيطان المرسوم على شكل ثعبان وسوس لهما بعصيان ربهما. وفى الطابق الثانى من المتحف توجد مجموعات من قطع النسيج التى اشتهرت به مصر فى ذلك الوقت إلى الدرجة التى حدت بـ"لويس الرابع عشر" ملك فرنسا إلى إرسال بعثة لدراسة ذلك الفن، ونقله إلى بلاده. وبعد عودة البعثة وبمرور الوقت وبشئ من التحسين والتطوير، ظهر "الأوبسون Aubusson " الذى ينال اليوم شهرة واسعة فى العالم أجمع.

وهناك أيضاً إنجيل من القرن الثالث عشر مترجماً، جنباً إلى جنب، من القبطية إلى العربية، بالإضافة إلى مجموعات من الأيقونات التى يرجع تاريخ بعضها إلى القرن السادس عشر، ومجموعة من الحُلى المصنوع من الذهب والعاج، والعصا التى كان يستخدمها البابا فى المناسبات عند إجراء الطقوس الدينية، وعدد من المباخر النحاسية والفضية ذات نقوش فى غاية الجمال والروعة حيث يمكننا مشاهدة الصليب بداخل الهلال، دليلاً على التعاون الدينى الذى ساد مصر طوال تاريخها.

ويحتفظ المتحف القبطى بتاج ضخم مرصع بالأحجار، وهو هدية من نجاشي الحبشة لبابا الأقباط. وفى البهو الأخير نجد مكاييل ومفاتيح أبواب بأحجام متفاوتة، إلى جوار بعض الأدوات الجراحية وبعض المشاهد التي نقلت من النوبة بالحوائط المرسومة عليها.

الكنائس والحصن الرومانى

يعتبر الحصن الذى لا تزال بقاياه قائمة فى مصر القديمة أكبر وأشهر الحصون المشيدة بمصر فى العصر الرومانى. وقد كان ذلك الحصن مشيداً بحجم مدينة كاملة، ومحاطاً بمجرى مائى متصل بالقناة التى تربط البحرين الأحمر والأبيض والتى كان الفرعون سنوسرت الثانى قد أمر بحفرها حيث وصلت البحر الأحمر بالنيل الذى يصب بدوره فى مياه البحر المتوسط.

وقد ظل الحصن الرومانى باقياً حتى مجيء عمرو بن العاص إلى مصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى لم يكن مقتنعاً بإرسال الجيش إلى مصر نظراً لقلة عدد أفراده، غير أن القائد عمرو بن العاص تمكن أخيراً من إقناعه بالذهاب إلى مصر حيث استسلم له من بالحصن ظناً منهم أن ما يواجهونه ليس إلا طليعة لجيش ضخم لا قبل لهم بمقاومته.

الكنيسة المعلقة

لم تظهر الكنائس فى المدن المصرية إلا بعد استقرار الدين المسيحى، واعتباره ديناً رسمياً للبلاد، وقد تم ذلك فى أواخر القرن الخامس الميلادى.

ويرتفع مستوى بناء الكنيسة المعلقة بمقدار أربعة أمتار ونصف عن مستوى الأرض، حيث إنها أقيمت على قاعدة أحد أبراج الحصن الرومانى ولذلك سميت "الكنيسة المعلقة".

وواجهة الكنيسة محلاة ببعض النقوش المحفورة فى الحجر والخشب، وبعض الزخارف المفرغة، وكانت تُحلى الواجهة الحجرية فيما مضى لوحة خشبية مستطيلة منحوت فيها مشهد فى غاية الروعة للسيد المسيح وهو يمتطى جواداً على أبواب مدينة أورشليم. وقد أظهر الفنان لهفة أهل المدينة لاستقباله بأن جعلهم وبطريقة غير مألوفة يميلون بكل أجسادهم إلى الأمام، وتوجد هذه اللوحة فى المتحف القبطى فى القسم الذى توجد به قطع قبطية من العصر الإسلامى.

ونصل عن طريق ممر واسع إلى ما يسمى بصحن الكنيسة، والذى تم تشييده على طراز المبانى الإسلامية، حيث تحيط بهذا الصحن، غير المسقوف من الجهات الأربع المبانى المسقوفة، وقد تم ترميم هذا الجزء من الكنيسة فى العصر الإسلامى، إلا أن ترميماً أخيراً لزخارفه أضاع من بهجته الكثير بعدما تم وضع الطلاء الرمادى بدلاً من اللون الطبيعى لأحجار البناء.

كانت الكنيسة المعلقة فى أول الأمر مقراً لبابا الإسكندرية، وبها أيقونة ضخمة للسيدة العذراء تعد من أقدم الأيقونات بمصر وتتميز بأنها تُظهر العذراء وكأنها تنظر إليك أينما تكون أمامها أو بجوارها. وهناك أيضاً أيقونات أخرى تحكى صوراً من حياة السيد المسيح عليه السلام. وتوجد بالكنيسة صورة من الخشب لبانيها الذى يقال إنه "القديس مرقص"، وهناك كذلك مذبح باسم أحد

المؤمنين الأحباش "تكلا هيمانوت". ويقسم هيكل الكنيسة إلى ثلاثة مذابح: احدها ليوحنا المعمدانى، والثانى للسيدة العذراء، أما المذبح الثالث فيسمى بمذبح القديس جرجس، وبالكنيسة أيضاً أقدم منبر معروف فى جميع الكنائس المصرية.

كنيسة أبو سرجة

توجد هذه الكنيسة أيضاً بمصر القديمة، وهى أشهر الكنائس المصرية على الإطلاق إذ يرجع تاريخ بنائها إلى القرن الخامس الميلادى، وقد سميت بكنيسة أبو سرجة نسبة إلى أحد جنديين رومانيين كانا قد عذبا حتى الموت بهذا المكان فى زمن اضطهاد روما لمعتنقى الديانة المسيحية، وكان يسمى "سرجيوس". ولأن السيدة العذراء حينما جاءت إلى مصر هرباً من "هيرودوس"، وبقيت فيها نحو الشهرين، أقامت بعض الوقت فى مغارة بهذا المكان، فقد سميت الكنيسة أيضاً بكنيسة السيدة العذراء، وهو الاسم الغالب عليها حالياً.

ومن الملاحظ أن مستوى أرضية الكنيسة منخفض عن مستوى المدينة من حولها، وهو المنسوب الطبيعى للمدينة عند إنشائها، ومنسوب المغارة فى داخلها أكثر انخفاضا. والكنيسة مقسمة إلى ثلاثة أقسام تفصل بينها أعمدة مستديرة من الرخام الرمادى تعلوها تيجان ذات أوراق كورنتية على الطراز اليونانى. وعدد هذه الأعمدة اثنا عشر عموداً ترمز إلى تلاميذ المسيح، أحد عشر عموداً منها متشابهة، وواحد فقط من الجرانيت الذى يميل لونه إلى الاحمرار قصد به "ياهوذا" الذى خان السيد المسيح.

وأهم أجزاء الكنيسة من الناحية الفنية الواجهة الخشبية المطعمة "Iconostase" حيث إنها مكونة من قطع خشبية معشقة ومتماسكة بدون إضافة أى مواد لاصقة، وهى من أقدم أجزاء الكنيسة، ولا تزال بحالة جيدة حتى اليوم. وهناك أيضاً حوض صغير يستخدم فى غسل قدمى أحد البسطاء، وهو طقس يقوم به قسيس الكنيسة رمزاً للتواضع. وهناك كذلك حجرة صغيرة يعمد فيها الأطفال، هذا بخلاف المنبر المصنوع من الرخام المتعدد الألوان، كما يوجد الهيكل الذى يعتبر أجمل مقتنيات الكنيسة بوجه عام، فهو مصنوع من الخشب المعشق وكل قطعة فيه مزخرفة بنقوش غاية فى الدقة والتناسق، وقد أقيم الهيكل فوق الموضع الذى يعتقد إقامة السيدة العذراء به.

الأديرة القبطية بوادى النطرون

على طريق القاهرة – الإسكندرية الصحراوى توجد أربعة أديرة كبيرة من أوائل زمن المسيحية هى: دير مقار، الدير السوريانى، دير براموس، دير الأنبا بشوى.

فعندما بدأ اضطهاد المسيحيين من قبل الرومان، هاجر الكثيرون من معتنقى المسيحية إلى صحراء مصر، وهناك أقاموا مجموعة من الأديرة الصغيرة فى القرن الثالث الميلادى، أما دير مقار والذى يعتبر أكبر أديرة وادى النطرون حيث يشغل مساحة كبيرة، ويضم ما لا يقل عن سبعين راهباً، وهو حصن ذو أسوار عالية لم يكن يمكن اجتيازها إلا عن طريق مصعد بدائى يصعب استعماله، وقد قام رهبان الدير فى الماضى القريب بزراعة مساحات شاسعة فى الصحراء المحيطة

بهم بعدما منحتهم الدولة هذه الأراضى التى يعمل بها الآن الكثير من الفلاحين فى مختلف أعمال الزراعة وتربية الماشية.

ويبدأ رهبان الدير الصلاة فى ساعة مبكرة من الصباح، وهم يستقبلون أعداداً وفيرة من الزوار وبخاصة فى أيام الأعياد الدينية، وقد انتشرت بيوت الضيافة خارج أديرة وأدى النطرون وجميع الأديرة على امتداد الدلتا والوادى لإيواء الزوار الذين يقيمون هناك لبعض الوقت.

مصر الإسلامية

فى عام641م، وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، تمكن القائد عمرو بن العاص من فتح مصر حيث قام بتشييد مسجده فيها، وشيئاً فشيئاً توالت الإضافات وأعمال الترميم على هذا المسجد حتى أنه لم يتبق من بنائه الأول سوى جزء صغير لم تشمله الترميمات التى كانت عمليات هدم وبناء أكثر منها ترميماً لأثر يراد له أن يظل باقياً.

ببعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى مكة وهجرته إلى المدينة بدأ التاريخ الإسلامى، وبعد أن لاقى النبى ربه، ظل الخلفاء الراشدون يحكمون هذه الدولة من عاصمتها فى المدينة، ومن بعدهم جاءت الأسرة الأموية، واتخذت من دمشق عاصمة لها، وفى عهدها انتشر الإسلام إلى أن امتد من المحيط الأطلنطى غرباً إلى حدود الصين شرقاً. ثم جاء العباسيون واتخذوا من بغداد عاصمة لدولتهم التى وصلت إلى قمة التحضر والقوة.

وإلى مصر أرسل العباسيون أحد قادة جيوشهم وهو أحمد بن طولون، الذى سرعان ما أعلن استقلاله بحكمها رافضا أداء الجزية للخليفة فى بغداد مؤسساً بذلك الدولة الطولونية وعاصمتها القطائع، ومن شمالى أفريقية جاء من ينتسبون إلى السيدة "فاطمة الزهراء" بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأسسوا القاهرة كعاصمة لدولتهم التى سميت باسم الدولة الفاطمية.

وفى عصر الدولة الفاطمية، استقطبت القاهرة العديد من الفقهاء والفنانين والمؤرخين وغيرهم من ذوى المهارات الخاصة. وشيدت فى رحابها القصور والمساجد والأضرحة. وفى أواخر ذلك العصر بدأت الحروب الصليبية، ونجح الصليبيون فى احتلال بعض المدن الإسلامية قبل أن يتمكن صلاح الدين الأيوبى من استردادها مؤسساً دولته التى عرفت باسم الدولة الأيوبية.

قام صلاح الدين الأيوبى بتشييد العديد من المبانى من بينها السور الحجرى الذى يحيط بالقاهرة والذى تجاوز سور الفاطميين، ومن أكثر إنشاءاته شهرة فى مدينة القاهرة قلعة صلاح الدين التى تعد واحدة من بين عدة حصون قام بتشييدها فى مختلف أقاليم السلطة، كقلعته المعروفة فى مدينة طابا.

اتجه خلفاء صلاح الدين إلى الإكثار من شراء المماليك من أسواق العبيد، ومنحهم حريتهم لينضموا إلى صفوف الجيش ويعملوا على خدمة السلاطين، وسرعان ما حاز المماليك على المزيد من القوة والثقة، حتى جاء اليوم الذى استولوا فيه على حكم البلاد التى شهدت فى عهدهم الكثير من المنازعات والفوضى، فالمماليك لم ينتموا إلى أسرة واحدة أو مجموعة أسر، ولم تكن تربط بينهم أى صلة

دم، إذ قضت العادة بينهم أن الابن لا يحكم بعد أبيه بل يتولى الحكم أقوى أمراء المماليك وأكثرهم سطوة وقوة.

وقد أراد المماليك طوال حكمهم محو الصورة الثابتة فى الأذهان عن وضاعة أصولهم، فعمدوا إلى بناء أكبر المساجد وأكثرها فخامة، وفى آخر زمن المماليك ضعفت دولتهم وازدادت المشاحنات بين أمرائهم، فأستولى العثمانيون على حكم البلاد وبقى للمماليك تحت حكمهم بعض النفوذ، حتى جاء محمد على وأحكم سيطرته على البلاد، ليتخلص نهائياً من المماليك، وليمتد حكم أسرته لمصر حتى قيام الثورة عام 1952م.

متحف الفن الإسلامي

يحتوى هذا المتحف على معروضات يرجع تاريخها إلى بداية العصر الإسلامى فى مصر، ذلك العصر الذى ضمت فيه الحضارة العربية العديد من البلدان، والعديد من الحضارات السابقة عليها والتى تمازجت فيما بينها، فأصبح الفن الإسلامى خلاصة وجوهراً لجميع مدارس الفن المنتشرة فى كل البلدان المفتوحة. ففى ثنايا الفن الإسلامى نجد عناصر شتى لفنون مختلفة من شمال أفريقيا وشبة الجزيرة الأبارية، عناصر فارسية وهندية وأندونيسية، حتى العناصر الصينية والتى انتقلت إلى الفن الإسلامى عن طريق التجارة مع تلك البلاد البعيدة، وبصفة عامة تميز الفن الإسلامى باحتوائه على العديد من ملامح البلدان والحضارات التى ضمتها الدولة الإسلامية المترامية الأطراف فى هذا الوقت.

نستطيع أن نلمس خلال جولتنا بأروقة المتحف الإسلامى مدى تطور الزخارف التى اكتسبت فى العصر الإسلامى رونقاً وجمالاً، ومنحتنا صورة حية عن تفاصيل الحياة اليومية في ذلك العصر الذى كانت منحوتاته فى واجهات المنازل والمساجد تنطق بالدقة والعمق وبخاصة حينما تتخذ من الخط العربى بأنواعه موضوعاً لها، وحينما تتشابك حروف الخط الكوفى أو الرقعة أو النسخ مع العناصر النباتية والهندسية فى تناغم بديع لا يضاهيه سوى تناسق قطع الأبنوس والصدف والرخام المعشق فى الإطارات الخشبية.

وقد وصلت فنون صناعة النسيج المصرى فى العصر الإسلامى إلى درجة عالية من الجودة والأهمية، حيث كانت أوربا تستورد المنسوجات الحريرية المصرية، وكان البابا وفردريك الثانى وغيرهما من الشخصيات البارزة يحرصون على ارتداء الملابس المستوردة من مصر فى ذلك الوقت. وقد كانت هناك مصانع خاصة لإنتاج ملابس الحكام ورجال البلاط، حيث كان ينسج اسم كل منهم على ما يصنع له من ملابس. كما تقدمت أيضاً صناعة السجاد الذى استخدمت فى صناعته خيوط الذهب والفضة. ومن أروع معروضات المتحف سجادة نادرة يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر.

وبالمتحف عدد كبير من أجمل المشكوات الزجاجية التى جلبت من مسجد السلطان حسن، وتعتبر أقيم محتويات المتحف على وجه العموم. وهنالك أيضاً مصحف ذو قيمة أثرية كبيرة حيث أنه مدون بالخط الكوفى فى القرن الثامن الميلادى، ومن أطرف معروضات المتحف ركن جئ به من أحد القصور، وهو مصنوع

بالكامل من الخشب المزخرف وكان يستخدم ككتاب لأطفال القصر، فلكل طفل وسادة خاصة به، وللمعلم مقعد داخل تجويف أحد الحوائط المصنوعة بالكامل من الخشب. ومن محتويات المتحف الإبريق الخاص بمروان الثانى، وهو من القرن الثامن ومصنوع من النحاس المطعم بالفضة.

وبغرض الحفاظ على الخصوصية لأهل المنزل، وحمايتهم من أشعة الشمس القاسية، ابتكر العباسيون نوعاً من النوافذ سمى بـ "المشربية"، وهى مصنوعة من قطع صغيرة من الخشب المعشق، والمشربية دائما تكون جزءاً بارزاً عن مجمل البناء، حيث توضع الآنية الفخارية المغطاة بأغطية من النحاس، وبمرور النسيم خلال مسام هذه الآنية يتم تبريد الموجود داخلها من مياه الشرب، ومن هنا جاءت تسميتها بالمشربية, ويزخر المتحف بالعديد من آيات فن النحت الإسلامى، والذى تميز بالعمق والدقة واستلهام موضوعاته من التكوينات الهندسية والنباتية، وإن كنا فى بعض الأحيان نجد بين تلك النقوش عناصر طريفة كالصليب المعقوف وغيره من العناصر التى نقلها الفنان المصرى من بيئات وحضارات مختلفة.

ومن العصر الفاطمى نجد بقايا لحمام عام، وهو نوع من الحمامات كانت منتشرة آنذاك لخدمة طوائف الشعب المختلفة رجالاً ونساء، ومما يذكر عن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله إغلاقه للحمامات الخاصة بالنساء، ومنعه صناعة الأحذية لهن لضمان عدم خروجهن من منازلهن، وقد تواترت تلك الحكايا إلى جانب بعض الروايات الغريبة ومنها منعه أكل الملوخية التى كانت تسمى "ملوكية"، غير أن هناك أيضاً روايات مؤكدة عن ذلك الخليفة تؤكد عزوفه عن

الحياة المرفهة ومظاهر الأبهة والثراء، حتى أنه لم يستخدم العربة الملكية التى تجرها الجياد والمخصصة للخلفاء، واكتفى بامتطاء دابة فى كل تنقلاته.

ومن مسجد السلطان حسن الذى يعد أكبر وأهم آثار مصر الإسلامية، انتقلت إلى المتحف مجموعة من المشكوات، ومن بينها مشكاة ضخمة صنعت من النحاس المفرغ فى القرن الرابع عشر، وحولها أماكن مخصصة لوضع الزجاجات التى تحتوى على الزيت والفتيل بعدد أيام السنة، وقد كتب الصانع أسفلها أنه صنعها فى أربعة عشر يوماً.

وفى حجرة الأخشاب بالمتحف يوجد محراب منقول من المسجد الأزهر، وهو منحوت من قطعة واحدة من الخشب، ومن القصور الفاطمية التى كانت منتشرة فى المنطقة المسماة اليوم "بين السرايات"، نقلت للمتحف مجموعة من اللوحات الخشبية تبين رسوماتها تفاصيل الحياة اليومية فى ذلك العصر، حيث نرى مجموعة من العازفين مع آلاتهم، وصياداً جالساً على جواده بينما يقف على ذراعه أحد الصقور، وكذلك مشهد لرقصة التحطيب التى يستخدم فيها زوج من العصيان، والفكرة مأخوذة من المبارزة بالسيوف. وفى نفس الحجرة يوجد من العصر الأموى جزء من فراش مطعم بالعاج فى إتقان يشهد بقدرة الصانع وتمكنه.

وفى البهو تُعرض مجموعات من المصنوعات النحاسية، من بينها قواعد ضخمة للشموع والمباخر، وآنية لتدفئة الأيدى، إلى جانب بعض أدوات الفلك. وفى أحد الأركان نافورة تنساب مياهها من أعلى عمود رخامى. وتوجد أيضا عدة أبواب خشبية ضخمة يرجع تاريخ إحدها إلى عصر الدولة الأيوبية، إذ تُبين الكلمات

المنقوشة عليه أنه صنع فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى. وتوجد كذلك بعض المصنوعات الخزفية التى نالت حظاً وافراً من التطور متأثرة بفنون الخزف الصينى الذى سرعان ما تميزت عنه بالرقة البالغة، والبحث الدائم عن التجديد، الأمر الذى نلاحظه فى شُبَّاك "القلة"، فبدلاً من عمل ثقوب فى الجزء الداخلى من عنق القلة لتمر منها المياه عند الشرب، أبدع الفنان المصرى أشكالاً رائعة مرسومة بطريقة الثقوب على هيئة طائر أو حيوان رقيق، وأجملها تلك التى تمثل صورة الطاووس.

مقياس النيل

أهتم المصريون القدماء بقياس فيضان النيل، ففى العديد من المعابد الفرعونية يوجد مبنى صغير ملحق بجانب الحائط الذى يصل إلى النيل، والذى تكتسى جدرانه بعلامات القياس، وعندما يأتى الفيضان، ويرتفع منسوب المياه فى النهر، تبين علامات الحائط ما إذا كانت مياه الفيضان عالية أو متوسطة أو منخفضة، وبناءً على ذلك كان الكهنة يسجلون الضرائب، حيث إن ندرة الفيضان أو غزارته تتسبب فى وقوع خسائر للزراع مما يحتم تخفيض الضرائب التى تعود للارتفاع من جديد حينما يكون الفيضان متوسطاً.

وتعتبر مقاييس النيل المنتشرة على طول البلاد من أقدم آثار مصر الإسلامية، إذ يرجع تاريخ إنشاء بعضها إلى القرن الثامن الميلادى، وقد استمر استعمال بعض تلك المقاييس وقتاً طويلاً، ومن بينها مقياس النيل القائم بجزيرة الروضة والذى بنى فى عهد الدولة الأموية وتم تجديده فى عهد السلطان بيبرس، وهو عبارة عن حوض مشيد داخل مبنى تعلوه قبة مدببة يتوسطها عمود مسدس

الشكل عليه علامات لتحديد منسوب المياه، ولا يـزال ذلـك المقيـاس بحالـة جيـدة حتى اليوم.

جامع أحمد أبـن طولون

بنى مسجد ابن طولون عام 876م، ويعتبر بذلك مـن أقـدم مسـاجد مصـر الإسلامية، كما يمثل فى عمارته طـرازاً فريـداً بـين جميـع المساجد المنتشـرة فـى القاهرة وخارجها، فهـو مشيد فـوق إحـدى الهضـاب، ومكـون مـن صـحن مربـع يحتوى على الميضة، وأروقة موازية لحوائط الأجناب، ومن حولها مسـاحة كـبيرة مسورة تفصل المسجد عما حوله، وللمسجد قصة طريفة إذ يقال أن ابن طولون طلـب من أحد مهندسيه الأقباط بناء المسجد، وكان من المتبع حينئذ أن تؤخذ بعض القطع الحجرية من الأبنية القديمة لاستخدامها فى أى بناء جديد، حيـث نـرى العديـد من الكنائس مثل كنيسة السيدة العذراء والكنيسة المعلقة وقد حملت أسـقفها علـى أعمدة منقولـة مـن المعابـد اليونانيـة والرومانيـة، وقـد أدرك المهنـدس القبطـى أن السلطان قد يطلب منه أخذ بعض أساطين الكنائس لاستخدامها فى بنـاء المسـجد، مما قد يؤدى إلى انهيارهـا، فقـرر الـرفض مفضـلاً السـجن الـذى أمـر ابـن طولـون بإيداعه فيه.

وفى السجن اهتدى المهندس القبطـى إلى طريقـة تمكنـه مـن تنفيـذ إرادة السلطان دون المساس بالكنائس والمنشآت الحجريـة القريبـة منـه،إذ قام ببنـاء أعمـدة مربعة من الطوب الأحمر بأركانها أساطين مستديرة قليلة البروز تحمـل الأقـواس والسقف فى جميع الأروقة. وبذلك أصبح المسجد فى غنى عن جلب أية أعمدة مـن

أى أثر آخر، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يظهر فيها هذا الأسلوب فى البناء.

اتخذ المسجد هيئة مئذنته من مأذنة مسجد "سر من رأى"، وبه مائة وتسعة وعشرون نافذة من الجص المفرغ، لكل نافذة منها نقش مختلف، أما الميضة فكانت مكسية بالذهب شأنها فى ذلك شأن أغلب قصور عاصمة ابن طولون التى ازدانت بالفضة والرسومات المذهبة.

ويذكر التاريخ أنه فى العصر المملوكى وقع شجار ما بين الأمراء، فاختبأ أحدهم وهو "حسام الدين لاشين" فى مسجد ابن طولون، ونذر أنه إذا ما كتبت له النجاة سيقدم شيئاً لذلك المسجد، فكان أن قام بكساء قبة الميضة بالذهب، وأحضر للمسجد منبره الخشبى الذى يعد أجمل المنحوتات الإسلامية على الإطلاق.

الجامع الأزهر

بنى الجامع الأزهر فى عام 972م فى بداية عصر الدولة الفاطمية، ليكون أشبه بالجامعة الإسلامية المتكاملة، حيث تدرس فيه الشريعة الإسلامية، وعلوم الحديث، وعلم الكلام، علاوة على الطب والفلك، وتطور الأمر مع الزمن حتى صار الأزهر اليوم منارة شامخة يؤمها المسلمون من جميع بقاع الدنيا طلباً للعلم.

ويعتبر الجامع الأزهر فى هندسة بنائه النموذج الذى احتذته أغلب المساجد التالية عليه، وهو يتكون من الصحن فى الوسط وحوله الأروقة فى الأجناب الأربعة، ومن بينها رواق القبلة الذى يوجد به المحراب.وللمسجد الأزهر باب مزدوج أضيف إلى البناء فى القرن الثامن عشر وأطلق عليها أسم "باب

المزينين"، إذ أن الطلبة لم يكونوا يدخلون منه لتلقى العلم إلا بعد أن يتولى الحلاق تهذيب رؤوسهم، وعند الدخول من هذا الباب تقابلنا المدرسة "التيبرسية"، ومسجد وضريح "أجبقة" الذى استخدم كمكتبة ضمت زهاء عشرين ألف مخطوط.

أضاف السلطان "قايتباى" للمسجد الأزهر ثانية بواباته وكذلك مأذنته الرائعة، وللمسجد ست مآذن منها أربعة من العصر العثمانى لا يوجد بها أية نقوش، وقد أزال إحداها الخديوى عباس حلمى ليبنى فى موضعها الرواق العباسي، وأضاف السلطان "الغورى" المئذنة المزدوجة.

وبالجانب الأيمن توجد حالياً عدة أروقة متسعة، منها رواق خاص بالسيدات، وآخر للإدارة، أما صحن الجامع فمحاط بأعمدة متفاوتة الأعداد تحمل الأسقف بين الممرات، وهناك شرفة من الخشب كان يقف بها المتحدثون فى الأغراض المختلفة، وقد كان البناء الأصلى فى عهد المعز لدين الله الفاطمى لا يحتوى إلا على باب واحد هو الباب المعروض الآن فى متحف الفن الإسلامى.

وفى إحدى ساحات المسجد بنيت مدرسة للمكفوفين وضريح لبانيها، "القناقبائى Elkankabai"، وقد حصل طه حسين عميد الأدب العربى ووزير المعارف السابق على شهادة العالية من هذه المدرسة قبل أن ينال درجة الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس، وفى القرن الثامن الميلادى أضاف قائد الجيش "الجيوشى" للمسجد البوابة المزدوجة، وأضاف جزءاً جديداً كبيراً وراء رواق القبلة والمحراب، وجاءت مجموعة "البهرة" الهندية فجملت المحراب بزخارف لا تليق بجمال النقوش التى كان قد زينه بها السلطان بيبرس، وقد جددت وزارة الأوقاف

المسجد بالكامل ليكتسب المظهر الذى يليق به كأحد أهم آثار مصر الإسلامية.

ومن أجمل أجزاء المسجد القبة الصغيرة التى تزينها الآيات القرآنية بالخط الكوفى، والتى أقامها الخليفة الآمر بأمر الله، أما أخر الإضافات التى أدخلت على بناء المسجدّ، فهى الحائط الموازى لشارع الأزهر والذى بنى فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات، ويعتبر هذا المسجد الأوفر حظاً، حيث أهتم به أغلب من تولوا حكم مصر، وحرص كل منهم على أن يضيف إليه شيئاً.

مسجد السلطان حسن

يعتبر مسجد السلطان حسن أكبر مساجد الزمن المملوكى، زمن الفن الرفيع فى بناء المساجد، إذ لم يكتف سلاطين المماليك بالسير على العادة القاضية باهتمام الحكام والملوك وحرصهم على بناء المساجد تخليداً لأسمائهم، بل عمدوا إلى المبالغة فى تجميل تلك المساجد وكأنهم يحاولون بذلك محو اللقب الذى ظل عالقاً بهم "مماليك".

وقد بُنى مسجد السلطان حسن فى القرن الرابع عشر الميلادى فى الموضع الذى يعرف اليوم بميدان صلاح الدين الأيوبى حيث يطل على أسوار قلعته الشهيرة.ويمثل ذلك المسجد ثانى الطرز المعمارية للمساجد المصرية إذ يتكون من الصحن،وفى وسطه الميضة تعلوها قُبة زرقاء.

وفى زوايا المسجد الأربع أقيمت أربعة مدارس فقهية بأسماء الأئمة الكبار، أما إيوان القبلة فيتميز باتساعه وجدرانه المكسية بالرخام

اللون،وبمحرابه المتقن الصنع. وإلى جواره ما يسمى "بالدكة" والتى كانت تستخدم فى ترديد صوت الإمام قبل الاهتداء إلى استخدام أجهزة الصوت الحديثة. وفى المدخل يوجد ذلك الباب العالى الذى يشبه الباب المكسى بالنحاس والمطعم بالفضة والكتابات المذهبة والذى تم نقله إلى مسجد المؤيد.

ويلاصق المسجد فى أحد جوانبه ضريح السلطان حسن، وهو تحفة فنية رائعة بمحرابه الصغير الذى يحيط به شريط خطت عليه آية الكرسى بالذهب، وإلى جوار المحراب مقعد القارئ المصنوع من أجود أنواع الأخشاب المطعمة بأكثر من اثنى عشر قطعة صدفية وأبنوسية فى السنتيمتر المربع.

مسجد محمد على

اعتلى محمد على باشا مؤسس الأسرة العلوية عرش مصر عام 1805م، واختار أحد المواضع فى وسط قلعة صلاح الدين الأيوبى لبناء مسجده الذى عرف باسم مسجد محمد على. وقد اختار والى مصر لتصميم وإنشاء مسجده المهندس العثمانى "يوسف بشناهو" فأقامه على طراز مساجد بلاده حتى تم، وقد شابه إلى حد كبير مسجدى الأزرق والسليمانية فى أستانبول .

ويعتبر مسجد محمد على بطرازه العثمانى نموذجاً لثالث الطرز المعمارية للمساجد فى مصر، والتى مثلت طرازها الأول عدة مساجد بينها جامع عمرو والجامع الأزهر بأروقته المسقوفة حول الصحن والميضة، بينما مثل الطراز الثانى عدد من المساجد المملوكية التى تميزت بإيواناتها المربعة التى تحيط

بالصحن والتى كانت تستخدم ككتاتيب ومعاهد دينية لتدريس الفقه الإسلامى، ثم يأتى مسجد محمد على وكذلك مسجد الرفاعى كنموذجين للطراز الثالث الذى اعتمد الطريقة العثمانية فى البناء.

عند زيارتنا لمسجد محمد على بالقلعة نجد أن الصحن مستقل تماماً عن المسجد وبه الميضة وهو محاط بما يشبه الأروقة المسقوفة التى لا تستخدم بل تتوقف فائدتها عند إبراز الشكل الجمالى للبناء، وهناك مبنى مرتفع فى قمته ساعة كبيرة قدمت كهدية من أحد ملوك فرنسا.

ويجب أن نتوقف قليلاً لنتأمل جمال الأشكال النباتية المنحوتة على حجر الألابستر alabastar فى الواجهات قبل أن نمر من تحت الرواق المخصص للسيدات، لتبهر أعيننا الإضاءة الدائرية التى تشع من مجموعة كبيرة من المشكوات.

وتكتسى جدران مسجد محمد على بحجر الألابستر من الخارج وكذلك من الداخل حتى ارتفاع أحد عشر متراً، أما القبة فتزخرفها تشكيلات مذهبة على خلفية خضراء. وإلى جانب المنبر الأصلى للمسجد، يوجد المنبر الذى أضافه الملك فاروق الأول بغرض توصيل صوت الإمام بطريقة أكثر فاعلية ووضوح. أما النجفة التى تتلألأ فى وسط القبة فهى هدية من ملك أسبانيا. وتحمل القبة مجموعة من الأعمدة الضخمة المربعة، تزينها نقوش بأسماء الخلفاء الراشدين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى "رضى الله عنهم". وتتصدر قبة القبلة دائرتان كتبت فيهما عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

رحلة نيلية

3

تل العمارنة

مررت خلال عملى المشوق بالإرشاد السياحى بالكثير والكثير من المواقف الطريفة خاصة فى الماضى حيث لم يكن هناك ذلك الفهم لأهمية العمل السياحى وتلك النهضة التى نلمسها اليوم فى جميع مرافق البلاد. واسمحوا لى فى الصفحات التالية أن أقص عليكم جانباً مما كان عليه عملى بالإرشاد السياحى منذ وقت طويل.

شرفت ذات مرة بصحبة السيدة الفاضلة سوزان مبارك، وضيفتها الكريمة نور الحسين فى رحلة نيلية، وكان أن عبرتا عن استمتاعهما خلال هذه الرحلة بتلك السطور:

The boat trip from Luxor to Aswan was for me a dream come true. Your presence on this trip added to my knowledge tremendously, thus making it not only an enjoyable trip but an educational one as well. Thank you for all your effort & energy.

Best wishes,

Suzanne Mubarak.

January 19th 1987

Thank you More Akila
Chirine for an
unforgettable voyage
through the ancient
wonders and beauties
of Egypt. We have been
so fortunate to enjoy
this marvelous experience
of a lifetime illuminated
by your wisdom and
experience.

[illegible signature]

January 28, 1987

فى أحد الأيام الممطرة تركت القاهرة ظهراً بصحبة فوج سياحى لزيارة "تل العمارنة". وكانت المجموعة المتحمسة لزيارة الغد قد انشغلت فى الحديث عما ينتظرها من مشاهدات فى ذلك المزار التاريخى الفريد، فلم تشعر بتزايد الأمطار إلا عند دخولنا إلى الفندق للمبيت.

وبعدما انتهينا من تناول الإفطار فى اليوم التالى، وجدنا أزقة مدينة المنيا وقد تحولت إلى برك صغيرة شقت خلالها السيارة التى أقلتنا طريقها بصعوبة شديدة وبطء يفوق بطء الخائضين وسط مزيج من المياه والطين من أهل المدينة. وعند وصولنا إلى مشارف الطريق الزراعى توقفت السيارة تماماً وأعلن السائق بصوت حازم أنه لن يتقدم خطوة واحدة إلا إذا هبط اثنان من المجموعة وقاما بالسير أمام السيارة خطوة خطوة لضمان عدم سقوطها فى إحدى البرك.

وبينما كانت السيارة تتقدم على الطريق الزراعى خلف الدليلين بخطوات السلحفاة تحلق الجميع فى داخلها حول سيدة تحكى فى مرح كيف أنها تعودت فى رحلاتها المتعددة على مثل تلك المغامرات والمواقف. وما كادت تلك السيدة صاحبة المغامرات تنتهى من قص حكاياتها حتى توقفت السيارة على شاطئ النيل.

تركت المجموعة السياحية السيارة وراحت تستعد للعبور إلى ضفة النيل الأخرى على ظهر إحدى المراكب الشراعية. وعلى ظهر المركب وقف الجميع وقد تلاصقت أجسامهم نظراً لضيق المكان غير أن صاحبة المغامرات سرعان ما وجدت لها موضعاً يصلح للجلوس إلى جانب الصبى الذى يقوم بالتجديف لعدم كفاية الرياح، ومن موضعى استمتعت بمراقبة ثورتها كلما صدمها الصبى بكتفه كلما

تحرك بمجدافه طوال رحلة المركب إلى الشاطئ الآخر.

اقترب المركب من الشاطئ، وهنا أعلن المراكبي أنه لا توجد لديه "سقالة" للعبور عليها، وأضاف أنه سوف يحل هذه المشكلة بمساعدة زميل له، وفي ثوان معدودة رأيت صاحبة المغامرات مرفوعة في الهواء بين سواعد المراكبي وصاحبه ووسط ضحكات الجميع وتعليقاتهم. ففكرت فيما سيحدث لي ورحت أتراجع شيئاً فشيئاً حتى اقترب المركب قليلا من الشاطئ وقررت المجازفة، فاستجمعت طاقتي وأسرعت بالقفز والنجاة من ذلك المأزق.

على الشاطئ الغربي للنيل كان ينتظرنا جرار زراعي، فكان مصيرنا هذه المرة أن نجلس على القاطرة الحديدية متشابكي الأيادي وكلما قابلتنا تعرجات الطريق سقط عدد منا وتوقف الجرار الزراعي حتى نستعيد من سقط. وأخيراً وصلت المجموعة إلى سفح جبل تل العمارنة حيث صعدنا ما يقرب من مائتي متر قبل أن نتمكن من زيارة مجموعة المقابر الشهيرة المنحوتة في باطن الجبل والتي كانت رسوماتها في ذلك الوقت غير واضحة بسبب تراكم طبقات من الغبار عليها. وأذكر أنه في إحدى رحلاتي التالية إلى تل العمارنة فوجئت بظهور كافة الرسومات المختفية بعدما نجحت مصلحة الآثار عن طريق استخدام فرشاة ناعمة بها سائل شفاف من جعل الغبار المتراكم يكتسب خاصية الشفافية كاشفاً عما تحته من رسومات متنوعة.

وفي مقابر تل العمارنة مجموعة كبيرة من الرسومات الرائعة تحكي جانباً مهماً من جوانب التاريخ الفرعوني، ففي إحداها نرى إخناتون فوق عربته الملكية وإلى جواره زوجته الجميلة نفرتيتي وبناتها. وفي مشهد آخر يظهر

إخناتون وقد راح يكافئ بعض رجال دولتـه بحلقـات مـن الـذهب، كمـا نـراه فـى مشهد ثالث وقد انشغل باستقبال كبار زوار مدينتـه وعاصـمة إمبراطوريتـه التـى أطلق عليها اسم "أخيت آتون" أى أفق الإله آتون.

أما مقـابر كبـار رجـال الدولـة فـى تـل العمارنـة فقـد تم نحتهـا فـى الحجـر الجيرى ناصع البياض الذى مكن الفنانين من حفر الكلمات والرسوم المتعـددة بسـهولة ويسر مما أكسب هذه المقابر ولوحاتها الفنية أهمية وجمالاً، فعلى جدرانها يمكننـا أن نرى صاحب إحدى المقابر وزوجته راكعـين وقـد رفعـا أيـديهما واسـتغرقا فـى ترديـد التراتيل التى يوجد نصها أسـفل الرسـم، والمـأخوذة ممـا أنشـده إخنـاتون مـن تراتيـل وأدعية. كما نلاحظ فى تلك اللوحة المبهرة جمال ورونق الشعر المستعار الـذى يغطـى رأس الزوجة تعلوه قطعة عطر مجمد من ذلك النوع الذى يذوب ببطء ناشراً شـذاه فيمـا حوله.

وفى طريقنا إلى مغادرة تلك المقابر نمر بجوار القصر الملكى الذى اعتكفت به الملكة نفرتيتى عقب وفاة إخناتون حيـث عملـت علـى رعايـة تـوت عـنخ آمـون الفرعون الصغير. وفى مرسم أحد فنانى المدينة عثر على رأس نفرتيتى الشهير.

وفى أخت آتون توجد بعض البقايا التـى يمكنهـا أن تمنحنـا تصـوراً عمـا كانـت عليه الحياة فى تلك المدينة الفريدة التى أحاط إخناتون حدودها بأربعـة عشـر لوحـة حجرية ضخمة حفر عليها ما يحفظ للعاصمة حدودها ويحذر مـن أى اعتـداء علـى حرمها.

بنى حسن Bani Hassan

كانت الباخرة النيلية ما تزال متوقفة على شاطئ المنيا انتظاراً لانتهائنا من زيارة ما تبقى من مواقع أثرية بالمنطقة حيث هبطنا مبكرين لزيارة مقابر بني حسن، وكانت وسيلة المؤاصلات التى تنتظرنا هذه المرة ليست إلا مجموعة من الحمير المستأجرة من مزارعى المنطقة، ويعلم الله وحده كيف كانت حالة سروجها.

ولأن المسافة من الشاطئ حتى مقابر بني حسن تتعدى الثلاثة كيلومترات، أسرعت فانتقيت احدى الدواب التى ما كادت تقطع بى نصف المسافة حتى انزلق السرج وشعرت وكأن قدماى قد تقوستا إلى درجة لم استطع معها الاستمرار، فهبطت واقفة بعض الوقت قبل أن أتمكن من السير على قدمى بشكل طبيعى صاعدة وسط المجموعة إلى الموضع الذى توجد فيه مقابر بنى حسن حيث رحت أعطى عنها للمرافقين من حولى فكرة عامة بصوت مجهد ونبرات متقطعة.

وقد أقيمت مقابر بنى حسن على هيئة بهو أو مذبح، وتحلى بعضها بعدد من الأعمدة المنحوتة على شكل نبات اللوتس فى صخر الجبل، فأعمدة المقابر وسقفها وكذلك أرضياتها قطعة واحدة محفورة فى الصخر، ويلاحظ زائر تلك المقابر وجود رسومات لأبواب وهمية على الجدران الغربية لها وذلك رغبة من صانعيها فى تصحيح خطأ بنائها فى الجانب الشرقى للنهر نظراً لعدم وجود التربة الصخرية الملائمة فى الغرب حيث تقضى العقيدة الفرعونية بإنشاء المقابر.

1- مقبرة باكيت الثالث Bakit III

يقابل الداخل إلى مقبرة الأمير باكيت أمير مقاطعة الغزالة عمودان صخريان يليهما المقصورة المقسمة إلى جزأين متتاليين وبها سبع حفر للدفن، وأهم رسومات تلك المقبرة مشاهد التدريب على الصيد والأعمال الحربية المختلفة، وكذلك مشهد الاستيلاء على أحد الحصون، إلى جانب مشاهد ممارسة رياضة المصارعة، تلك المشاهد التى أخذت عنها مدارس التدريب الحديثة بعض حركاتها الفنية، وتتميز مقبرة باكيت بجمال وتناسق رسوماتها المحتفظة ببهاء ألوانها إلى اليوم.

2- مقبرة خيتى Kheti

يعد خيتى أحد أمراء المقاطعة، وتشتهر مقبرته بمشاهد توضح طريقة نسج الخيوط بواسطة أول نول عرفه التاريخ، وكذلك مشاهد تشرح لنا الكيفية التى كان يصبغ بها المصرى القديم خيوطه، وبالمقبرة أيضاً بعض مشاهد التدريب البدنى والحربى إلى جانب مشهد الهجوم على إحدى القلاع. وقبل مغادرتنا لهذه المقبرة لابد لنا من التوقف طويلاً أمام مشهد طريف ينطق بالمرح والانطلاق حيث نرى مجموعة من الفتيات يقمن بأداء إحدى الرَقصات فى رشاقة نادرة.

3- مقبرة خانوم حتب

كانت مقبرة خانوم حتب هى أخر ما زرناه من مقابر تلك المنطقة، وفيها شاهدنا عموديها المنحوتين بدقة فى صخر الجبل واللذين أُطلق عليهما "بروتو دوراك

"Proto Doric" لتشابههما مع الأعمدة اليونانية وإن كانا يسبقانها بآلاف الأعوام.

وتوجد بتلك المقبرة بعض الكتابات باللغة القبطية وسط لوحاتها الزاهية الألوان، ومنها لوحة "قوس قزح" بأطيافها السبعة المعروفة والتى لا يوجد لها مثيل فى أى مكان آخر.

وعندما انتهت رحلتنا إلى مقابر بنى حسن وهممنا بالانصراف، طلب أحد المرافقين أن ننتظر بعض الوقت، فجلسنا على حافة المرتفع نستمتع بمشهد غروب الشمس بينما انطلق ذلك المرافق يشدو بصوت رخيم مقطعاً من أوبرا عايدة فامتزج صوته المؤثر بأشعة المغيب فى لوحة لا تقل روعة وجمالاً عما شاهدناه فى مقابر بنى حسن.

الأشمونين Ashmounein

كانت ثالثة زياراتنا فى منطقة المنيا إلى الأشمونين، إحدى عواصم الدولة الحديثة حيث يعبد الإله "تحوت Thoth" إله الحكمة الذى مُثل على هيئة قرد، وكذلك على هيئة الطائر المعروف باسم "أبو منجل"، وإلى جانب تحوت عرفت الأشمونين عبادة "التامود" المكون من ثمانية آلهة، وفى غربى العاصمة اتخذت المدينة مقابر لها فى المنطقة المعروفة باسم "تونا الجبل".

أول ما يقابل الزائر فى مدينة الأشمونين تمثالان مصنوعان من جرانيت أسوان الوردى للإله تحوت فى هيئة قرد، ويصل ارتفاع كل منهما إلى حوالى ثلاثة أمتار، وقد حفر على قاعدتيهما اسم الفرعون آمنحوتب الثالث، وفى عهد

إخناتون أُزيل من نقوش القاعدة أى ذكر لآمون. وعندما جاء البطالمة إلى مصر قاموا بإدماج إلههم "هرمس Hermes" مع تحوت. ومن ذلك الاسم اشتق اسم المدينة "هيرموبوليس Hermopolis" الذى تحور إلى خمنون ثم إلى الأشمونين.

وإلى جوار تمثالى تحوت نرى معبداً صغيراً أقامه الجنود اليونانيون المكلفون بحراسة المنطقة من الحجر الجيرى، كما توجد أيضاً بقايا البناء الرومانى المعروف باسم "الأجورة" وهو أشبه بكاتدرائية ضخمة، وكان يستخدم كمركز لتبادل السلع التجارية حيث يمكننا مشاهدة عدد من الأعمدة الجرانيتية بتيجانها الضخمة قائمة حتى اليوم بينما ترقد إلى جوارها بقايا لعدد آخر منها توضح الجهد المبذول فى نحت مثل هذه الأحجار القاسية.

تونا الجبل Touna el gabal

بدأت رحلتنا فى تونا الجبل بزيارة مقبرة "أيزيدورا Isidora" وهى مقبرة من العصر البطلمى تضم مومياء شابة نقش على تابوتها باللون الأحمر أنها "ماتت فى سبيل الحب".

وبالمقبرة نقوش يونانية بحالة جيدة لا تفوقها إلا حالة المومياء الراقدة داخل تابوت زجاجي. ومن أطرف ما حُكى عن مومياء إيزيدورا ما سجله أحد الرحالة عند مشاهدته لها بقوله "وجدت الجسمان بحالة جيدة ووجدت بجانبه شمعة لا تزال مضيئة"!!

ومن مقبرة إيزيدورا تحولنا إلى زيارة مقبرة الكاهن

"بيتوزيريس Petosiris" التى يتقدمها مبنى صغير كان يحرق فيه البخور لإبعاد الأرواح الشريرة عن مومياء المتوفى. ويكتسى البهو الخارجى بخليط رائع من الفن الفرعونى واليونانى فى هيئة نقوش ملونة، أما حجرة الدفن فتوجد وسطها الحفرة التى كانت تحوى التابوت المعروض حالياً فى مدخل المتحف المصرى وهو مصنوع من الخشب على شكل جسد إنسان، والغطاء مرصع بقطع من الزجاج الملون تكون أحد النصوص الهيروغليفية لكتاب الموتى، وعندما ندقق النظر فى تلك الحروف الهيروغليفية لا نملك إلا أن نتعجب من دقة وبراعة صانعيها، فالحرف الهيروغليفى الذى يشبه فى هيئته هيئة طائر قد نقش وتم تطعيمه بقطع من الزجاج الملون حتى أنه يمكنك ملاحظة اختلاف ألوان ريش جناحيه بالرغم من ضآلة الحيز الذى يشغله.

وكانت غرفة تحنيط الطائر أبو منجل هى آخر ما قمنا بزيارته فى منطقة تونا الجبل حيث استمتعنا بمشاهدة بعض الأدوات التى كانت تستخدم فى عملية التحنيط، كما شاهدنا بعض التجاويف الصخرية التى تضم توابيت صغيرة على هيئة الطائر الذى يمثل تحوت إله الحكمة، وفى وسط احدى الممرات يوجد تمثال متوسط الحجم للإله تحوت على هيئة قرد قد رصعت عيناه بقطع من الزجاج الملون.

معبد أبيدوس

هو معبد له طراز معماري يختلف عن بقية المعابد المصرية القديمة، لكنه يشبه تصميم معبد الملكة حتشبسوت – الدير البحري بالأقصر، والذي كان قد بني في الأسرة 18، إلا أن معبد أبيدوس بني في الأسرة 19، وكان له مدخل

فريد من نوعه، وهو عبارة عن مدرجات عريضة جداً نصعد منها إلى بئرين للتطهر قبل دخول المعبد، ثـم الفنـاء الأول، ويليـه الفنـاء الثـاني تحوطهمـا جـدران مـن الحجر شديد الصلابة، وقد نقشـت بـالحفر منـاظر ترمـز إلى التعبـد أمـام ثـالوث أوزوريـس بالفنـاء الأول، ومنـاظر أخـرى للقتـال والحـروب للملـك سـيتي والـد رمسيس الثاني.

ثم نصعد مدرج صغير يصل إلي واجهة المعبد الـتي كانـت تحمـل بعـض النقوش من زمن الملك سيتي، ثم جاء رمسيس الثاني، فأضاف أعمدة مربعة تحمل كل جوانبها صوره برفقة ثالوث المعبد (أوزوريس، وإيزيس، وحـورس)، ثـم قـام بغلق آخر المداخل الكبيرة، وأضاف عليه منظر مكبر يـبين الآتـي: صـورة رمسـيس الثاني ضمن الثالوث، والملك رمسيس الثاني وهو يتقـدم الثـالوث للعبـادة، ثـم نجـد البهـو الأول الـذي تحمـل الأسـاطين المسـتديرة سقفه، ونلاحـظ أن هنالـك تـدرج في الارتفاع منذ بداية المعبد حتى نهايته الداخلية، ومن مجمل هذه المناظر التي بالمعبد آلهة الحصاد نبت، وآلهة أخرى، وكل هذه المواقف والرسـومات باسـم الملـك سـيتي الأول باني هذا المعبـد، أمـا رمسـيس الثـاني كمـا ذكرنـا مـن قبـل فقـد أضـاف فقـط الواجهة.

نصل إلى الجزء الخلفي الذي يشمل سبع مقصورات تكسـو خلفيـة المعبـد بأكملها، وهذه المقاصير السبع قد كرس الأوسـط منهـا لأمـون المعبـود الرئيسـي في الدولة الحديثة، ويلي ذلك الثلاث مقاصـير الـتي علـى الـيمين، والمكرسـة لعبـادة الثالوث (أوزوريـس، وإيـزيس، وحـورس)، وأمـا الـثلاث مقاصـير الواقعـة علـى

اليسار، فهي مخصصة لعبادة رع حراختي وبتاح، ثم الملك نفسه، وقد نقشت صور المراكب علي جدران كل حجرة.

أما سابع حجرة من حجرات المراكب المقدسة، فهي باسم الملك سيتي المؤله، والجزء الآخر من هذا المعبد يقودنا إلي بهو تحكي صوره قصة ممات وبعث أوزوريس إله البعث. ومن هنا نصل إلي ممر وواسع ذو أهمية كبيرة جداً، حيث أن الجدار الأيمن نقش عليه توالي أسماء الملوك الفراعنة، كل منها داخل خرطوش ملكي، وذلك منذ الملك مينا موحد القطرين، ويقف أمام هذه اللوحة الملك سيتي وهو يملي ابنه الفتى رمسيس الثاني، ويسمى هذا النقش "لوحة نصوص الأنساب". ويلي هذا المكان ممر وواسع، أهم ما به منظر في منتهي الروعة والتفرد عن اصطاد الملك سيتي الأول لثور كبير بحبل التف حول قرنيه، بينما يمسك الطفل رمسيس بذيل هذا الثور. ثم نصعد عدة درجات، لنجد أنفسنا أمام مبنى من حجر الجرانيت – (حجر الصوان)، وهو المبنى الذي يعتبر مقبرة لأوزوريس، والملاصق لمر واسع يبين الطقوس المتصلة التي كانت تقام عندما كان الكهنة يرتدوا الأقنعة التي تمثل شخصيات مسرحية أوزوريس الذي قتل ودفن في هذه المقبرة الرمزية، وتقول لنا القصة بأنه بعث، فأصبح إله البعث.

كاهنة أزوريس الإنجليزية

أقام الفرعون سيتى الأول والد رمسيس الثانى معبد أبيدوس لعبادة إله الموتى والبعث "أزوريس".

وهنا اسمحوا لى أن أقص عليكم قصة إحدى الشخصيات الطريفة التى قدر

لها أن تدخل التاريخ الفرعوني عن طريق ذالك المعبد. وهي الإنجليزية الملقبة بـ"أم سيتى"!

والبداية في إنجلترا حيث كانت تعيش طفلة صغيرة، تصحبها والدتها في زيارات متفرقة للمتاحف التي كلما ذهبت بها إليها، تلاحظ انبهار الصغيرة بالمعروضات المصرية القديمة، ورغبتها في المكوث أمامها لأطول وقت ممكن. وفي إحدى الزيارات تشبثت الطفلة بأحد التوابيت الفرعونية، ووجدت الأم بعض الصعوبة في إقناعها بترك التابوت ومغادرة المتحف.

وكبرت الطفلة وصارت شابة يافعة تواظب على زيارة المتحف البريطاني، حيث تقضي الساعات مستغرقة في تأمل الآثار الفرعونية، وحينما لاحظ أحد أمناء المتحف ذلك، عرض عليها أن يعلمها الكتابة الهيروغليفية، وبعد أن قطعت شوطا طويلاً في التعرف على التاريخ الفرعوني جاءت إلى مصر واستطاعت أن تجد عملاً بالمتحف المصري.

وفي المتحف المصري ظهر إيمان هذه الشابة الإنجليزية بالمعتقدات الفرعونية حيث راحت تَعد نفسها كاهنة للإله أزوريس، وتنتظر في شغف أن يذهب إليه الملك سيتى الأول عند بعثه طالباً يدها للزواج، ولكنها حينما شعرت أن انتظارها لهذا الزواج الملكي قد طال دون جدوى، وافقت على الزواج من شاب مصري كان يعمل بالتدريس، وأنجبت منه ابناً أطلقت عليه اسم سيتى.

وجاء اليوم الذي انتظرته طويلا، حيث طلبت منها مصلحة الآثار أن

ترافق أحد الأساتذة الكبار لعمل حفريات فى معبد أبيدوس، ولأن زوجها بالطبع لم يشاركها إيمانها الراسخ بالعقيدة الفرعونية، تركته واصطحبت ابنها متوجهة إلى معبد أزوريس، وعند وصولها إلى أبيدوس أكدت لمرافقيها أنها لن تقيم فى الفندق المخصص للبعثة لأنها تعرف طريقها جيداً، وإلى جانب المعبد شيد لها أهالى المنطقة بناءً متواضعاً عاشت فيه بصحبة ابنها بعض الوقت قبل أن يأتى الأب، ويصطحب ابنه كى يتلقى تعليمه فى القاهرة، بينما ظلت أم سيتى تؤدى عملها فى الحفريات إلى جانب واجبات العقيدة التى اختارتها لنفسها، حيث واظبت على تقديم القرابين لأزوريس فى معبده الذى لا تدخله إلا بعد التطهر وخلع نعليها، كما كانت تؤدى له كافة الطقوس ككاهنة لمعبده.

مر بعض الوقت قبل أن تفاجأ بانتهاء عمل البعثة، وتواجه بأن عليها إذا ما قررت البقاء أن تدبر أمر معيشتها بنفسها، وهو الأمر الذى نجحت فى تحقيقه بصنع مطرزات على هيئة خراطيش فرعونية تحمل أسماء المعارف والأصدقاء. وأذكر أننى تعرفت إليها فى تلك الفترة، حيث ربطتنى بها علاقة ودية مما جعلنى أحمل لها بعض طلبات الأصدقاء لعمل خراطيش فرعونية بأسمائهم، ومن بين هذه الخراطيش خرطوشة صنعتها للأميرة "فوزية" وأدخلت فيها على غير المعتاد اسمها الملكى ذاكرة أنه ابتكار من عندها لشخصية تعتز بها، وقد زارتها الأميرة فوزية عدة مرات وأظهرت شيئاً من العطف نحوها.

وبقيت "أم سيتى" بمعبدها حتى شعرت بدنو أجلها، فزاد قلقها خوفاً من أن يعاد جسدها إلى إنجلترا. ولم تنعم بالراحة والطمأنينة فى آخر أيامها إلا

بعد موافقة مصلحة الآثار على دفن جثمانها داخل أحد حوائط المعبد، ومن خلال هذا الحائط دخلت هذه الإنجليزية التاريخ الفرعوني.

معبد دندرة

خصص معبد دندرة عند إنشائه فى العصر الفرعونى لعبادة الإلهة حتحور، غير أن المعبد الكبير القائم حالياً شيد زمن الأسرة البطلمية، ومؤسس هذه الأسرة هو بطليموس لاجوس الذى استقل بحكم مصر عقب وفاة الإسكندر المقدونى، وقد أبقى بطليموس على عبادة الآلهة المصرية معتبراً نفسه امتداداً لفراعنتها، لكن خلفاءه سرعان ما أدخلوا الآلهة اليونانية إلى البلاد وقاموا بإدماجها مع آلهة مصر الفرعونية.

وفى مدخل معبد دندرة بوابة ما زالت تحمل تفاصيل مشهدين لأحد الملوك البطالمة وهو يقدم القرابين للإلهة حتحور. وإلى اليمين نشاهد مبنى رومانياً، فالرومانيون أيضاً بعدما استولوا على حكم مصر حافظوا على عبادة الآلهة الفرعونية زمناً طويلاً، والمبنى عبارة عن "بيت الولادة" الذى تسجل به مشاهد ولادة الحاكم من نسل الآلهة، حيث يمكننا أن نرى على سبيل المثال القيصر الرومانى أغسطس فى هيئة فرعونية، وقد انتسب إلى الإله آمون فصار بذلك حاكماً من سلالة إلهية كما تقضى العادة الفرعونية، والنقوش المحفورة على جدران بيت الولادة غاية فى الدقة والوضوح، وما زال السقف يخطف الأبصار بلونه الأزرق ونجومه الذهبية، أما المشاهد الخارجية فهى نموذج رفيع للمستوى الفنى المرتفع فى ذلك العصر، وتبين أغسطس فى حضرة أمه الإلهة حتحور.

وعلى مقربة من بيت الولادة نمر ببقايا كنيسة كانت قد أقيمت في زمن دخول المسيحية فى مصر، ونلاحظ أنها مشيدة بأحجار مأخوذة من بعض الأبنية الفرعونية، وتحمل جدرانها رمز الحياة الفرعونى "عنخ" الذى تطور حتى أصبح صليباً. ويلى تلك الكنسية بقايا معبد أقيم فى عهد آخر الفراعنة "نختانيبو Neckta Nebo". ونصل أخيراً إلى المعبد الكبير حيث تطالعنا الأعمدة الحتحورية المتصلة بتيجانها المنقوشة على هيئة رأس البقرة "حتحور"، وتبلغ مساحة بهو الأعمدة أربعة وعشرين عموداً، ويحوى ثمانية عشر متراً.

الأقصر

4

تحتوى مصر على ما يقرب من ثلث آثار العالم أجمع، وتنقسم هذه الآثار بحسب الاعتقاد الفرعونى إلى مبان دنيوية مقامة على الضفة الشرقية للنهر، ومبان جنائزية مقامة على الضفة الغربية.

معبد الأقصر

ويوجد على الجانب الشرقى للنهر حيث يتقدمه صرح كبير وإحدى مسلتين كان قد أقامهما الفرعون رمسيس الثانى بارتفاع ثلاثة وعشرين متراً. وقد قام محمد على باشا بإهداء الأخرى إلى فرنسا وهى المسلة المقامة اليوم فى ميدان "الكونكورد" بباريس، وتحوى المسلتان نقوشاً هيروغليفية تسجل جانباً من

بروتوكول الملك رمسيس الثانى. ومن المعروف أن قمة المسلات المثلثة كانت دائماً ما تكتسى بخليط من الذهب والنحاس.

ثم نأتى إلى الصرح الذى سجل عليه رمسيس الثانى أخبار موقعة قادش حيث عبر عن ضخامة جيوشه التى اشتركت فى حصار قادش بنقش بالغ الدلالة يُظهر المدينة والجنود من حولها وكأنها إحدى الجزر المحاطة بالمياه من كل جانب. وقد نُقشت على الجانب الآخر من الصرح مشاهد حربية مختلفة.

وبداخل الفناء الأول للمعبد وعلى الجانب الأيسر لم تقم الهيئات المعنية بأعمال الحفر والتنقيب، حيث أقيم فى ذلك الموضع مسجد "أبو الحجاج الأقصرى" الذى لا يزال مستخدماً حتى اليوم. وأمام المسجد توجد عدة تماثيل بأحجام تتجاوز الحجم الطبيعى كانت قد تأثرت بأحد الزلازل وتم ترميمها منذ وقت قريب.

ومن خلف الأعمدة التى تلى المدخل نجد إلهة الكتابة "سشت" تمسك بأحد الأقلام وتتزين بتاجها المنحوت على هيئة زهرة مفتوحة بسبع ورقات. وعند مدخل البهو الثانى نجد تمثالين للفرعون آمنحوتب الثالث بانى معبد الأقصر وقد نقش على قاعدتى التمثالين مشاهد تبين أسرى الحرب من الإفريقيين والآسيويين، أما الجدار المقابل لإلهة الكتابة سشت فقد سجلت عليه تفاصيل الاحتفال بافتتاح المعبد حيث نرى الموكب الملكى ومجموعات الثيران التى سيتم ذبحها بهذه المناسبة، وكذلك نرى أبناء الملك وقد أمسك كل منهم بأحد أفرع الأشجار.

وفى الفناء الثانى نجد مجموعتين من التماثيل وصفين من الأعمدة الضخمة وقد نقشت على جدران البهو تفاصيل الاحتفال برأس السنة الفرعونية حيث نشاهد حاملى الزهور والراقصات ونحر الذبائح وهى مشاهد من عصر الفرعون توت عنخ آمون.

أما البهو الثالث فمحاط بصفين من الأعمدة الضخمة التى كانت قد تأثرت فى الآونة الأخيرة بارتفاع منسوب المياه الجوفية، وعند القيام بمعالجة تلك المشكلة تم العثور على خبيئة تضم العديد من التماثيل المحفوظة الآن فى متحف الأقصر. وفى البهو الرابع نجد أحد الأحجار وقد حمل نقوشاً باللغة اللاتينية تبين كيف خصص أباطرة روما الفناء الذى يلى البهو لعبادتهم، فمع بدء انتشار المسيحية ووقوع مصر تحت حكم الرومان أجبرت روما رعاياها على عبادة أباطرتها الذين نُقشت صورهم فوق النقوش الهيروغليفية بعد طمسها بطبقة من الجير.

وقد شيد الرومان قدس الأقداس الخاص بهم فى أقصى الداخل، وزينوه بصور أباطرتهم فى هيئة الفراعنة، وفى السور المحيط من الجهة الخارجية نستطيع أن نشاهد أسماء الفراعنة البطالمة داخل خراطيش فرعونية إلى جانب بعض المشاهد الحربية التى تضم مشهداً لأحد الفرسان وقد جلس يستطلع أوضاع العدو، وآخر يوضح تفاصيل صدام بين جيشين.

معبد الكرنك

كان معبد الكرنك فيما مضى متصلاً بمعابد طيبة عن طريق مجموعة من الممرات التى تحف بها الكباش، وأجمل هذه الممرات هو الممر الذى توجد بقاياه إلى اليوم أمام واجهة المعبد والذى تحف به تماثيل الكباش وقد أحاطت بالفرعون لحمايته. والصرح الذى تؤدى إليه هذه التماثيل ليس به أى نقوش يمكن من خلالها التعرف على بانيه، وهو صرح هائل يصل عرضه إلى مائة وثلاثة عشر متراً وهو غير مكتمل البناء حيث نجد خلفه الطوب اللبن الذى كان يستخدم كبديل للسقالات.

وفى وسط الفناء الذى يلى ذلك الصرح توجد مقصورة الملك "طهاركا"، والتى كانت ترتفع إلى عشرة أعمدة لم يتبق منها اليوم غير هذا العمود، ووسط المقصورة نجد مكعباً ضخماً من الألابستر كان يستخدم لوضع المراكب المقدسة فوقه وتجهيزها للمواكب الاحتفالية المختلفة، وقد أضاف رمسيس الثالث معبداً صغيراً متكاملاً فى الجانب الأيمن، أما الجانب الأيسر من الفناء فتوجد به ساحة مفتوحة تُعرض فى جنباتها مجموعة من أحجار الكوارتز الذى يميل لونها إلى اللون الأحمر وتحمل نقوشا ورسومات رائعة خاصة بالملكة حتشبسوت والفرعون تحتمس الثالث، وهى المجموعة التى عثر عليها فى صرح الفرعون حور محب، والتى تضم أيضاً خرطوشة تحمل ألقاب تحتمس الثالث. وقد فضل المسئولون عرض هذه المجموعة فى الهواء الطلق فيما يشبه المتحف المفتوح الذى يضم أيضاً مقصورة صغيرة من الألابستر مكرسة لعبادة الإله "Minh – منه" إله الخصوبة، إلى جانب

بعض قطع أخرى من عصر الدولة الوسطى منحوتة من الحجر الجيرى ناصع البياض.

نعود مرة أخرى إلى البهو الأول حيث أُقيم تمثال ضخم للفرعون رمسيس الثانى قام خليفته مرنبتاح باغتصابه لنفسه حيث نقش عليه ألقابه الملكية فى خرطوشة. وقد اشتهر رمسيس الثانى فى العالم أجمع بكثرة المبانى الضخمة التى أقامها وتعدد إضافاته فى معابد أسلافه على امتداد الدلتا والوادى. وعلى جدران أغلب تلك المعابد تطالعنا تفاصيل معركة قادش التى لم يمل رمسيس الثانى أبداً من تكرار الحديث عنها ومن أطرف ما ذكره عن تلك المعركة ما يحتويه مخطوط يبين أدوار القتال فى إحدى المواقع حيث يذكر الفرعون أن ثلثا جيشه فُقد أثناء الموقعة غير أنه نجح رغم ذلك فى إحراز الانتصار بخططه الماكرة بعد ما توجه إلى الآلهة فى صلواته بالميدان راجياً "يا رب .. لا تجعل العدو ينتصر علىّ .. كيف أظهر مهزوماً أمام شعبي؟ ..إنك لا ترضى ذلك لى".

والآن نصل إلى إحدى عجائب البناء على مر التاريخ ألا وهو بهو الأعمدة بمعبد الكرنك الذى ترتفع فى أرجائه مائة وأربعة وثلاثون عموداً حجرياً ضخماً يصل ارتفاع الصفين المتوسطين منها إلى حوالى أربعة وعشرين متراً، بينما ترتفع باقى الأعمدة إلى أكثر من أربعة عشر متراً، وتحمل أعمدة البهو نقوشاً متعددة لألقاب الفرعون آمنحوتب الثالث إلى جانب نصوص دينية مختلفة.وعندما ننظر لأعلى نجد أن الأعمدة تتصل ببعضها البعض عن طريق كتل حجرية، والسقف مغطى تماماً بكتل أكبر. وفى المر الأوسط بعض الفراغات للإضاءة والتهوية.

وعلى الجدار الخارجي لبهو الأعمدة نرى تسجيلاً لأقدم معاهدة صلح في التاريخ، حيث تذكر النقوش المنحوتة بشكل غائر يتجاوز عمقه العشرة سنتيمترات أن رمسيس الثاني أتخذ من ابنة ملك الحيثيين زوجة له كضمان لاستمرار معاهدة الصلح معهم، هذه المعاهدة التي سجل آلاف من الآلهة توقيعهم عليها. ويوجد على الجدار الخارجي كذلك عدة مشاهد منها مشهد للملك سيتي الأول والد رمسيس الثاني وهو يقوم بتقديم القرابين لثالوث طيبة "آمون رع وموت وخونسو"، ويصور مشهد آخر شجرة الحياة حيث سجل سيتي اسمه على ثمارها، وفي مشهد ثالث نرى الجنود العائدين من المعركة وقد صُوروا على هيئة تماسيح تعبيراً عن اجتيازهم لأحد الممرات المائية.

وعندما نتقدم إلى عمق المعبد نشاهد بقايا لمجموعة من المسلات تقف بينها مسلة الملكة حتشبسوت شامخة تختال بجمالها وخلودها وهي أكبر المسلات التي لا تزال قائمة حتى الآن، إذ يصل ارتفاعها إلى نحو خمسة وثلاثين متراً، ومن المعروف أنه بعد وفاة حتشبسوت جلس على عرش الفراعنة الملك تحتمس الثالث الذي كان يرى أن حتشبسوت قد اغتصبت منه حقه الشرعي في حكم مصر، فعمل على محو وتدمير أكثر آثارها. ولكنه لحسن الحظ ترك لنا بعض رسومات معبد الدير البحري إلى جانب تلك المسلة التي اكتفى بطمس نقوشها وحجبها عن أعين الزائرين بإقامة حائط أمامها. ونحن إلى اليوم لا ندري كيف أقامت حتشبسوت مسلتيها في ذلك الموقع حيث ظلت إحداهما قائمة إلى اليوم بينما تحطمت الأخرى ولم يبق منها سوى جزء قائم إلى جوار البحيرة المقدسة، وإن كان

هناك نقش تذكر فيه حتشبسوت أن قطع مسلتيها مـن أحجـار أسوان وتزيينهمـا ونقلهما إلى موضعهما لم يستغرق أكثر من ستة أشهر!

وتعد مقصورة الإسكندر المقدونى من أجمل مقاصير معبـد الكرنـك وهـى مشيدة من الجرانيت الأحمر، ولا تزال نقوشـها واضـحة تحمـل مشاهد تتويجـه فرعوناً للبلاد من قبل آلهة الفراعنة. ويحمل قدس الأقداس الخاص بتلك المقصورة لوحة لقبة سماوية يمكننا مشاهدة نجومها الملونة باللون الأبـيض وبوسـطه نقطـة حمراء. ومن فتحة فى جدار قدس الأقداس يصل الزائر إلى المنطقة التى أقيمت بها منشآت الدولـة الوسطى والتـى نجـد فـى وسط أحـد أفنيتهـا مـذبحاً ضـخماً مـن الألابستر كان يستخدم فى تقديم القرابين.

وبالكرنك أيضاً بهو الاحتفالات الشـهير الـذى أقامـه الفرعـون تحـتمس الثالث حيث كان الكهنة يراقبون من فوق سقفه حركة النجوم والأبـراج الفلكيـة، ولا تزال نقوش ذلك البهو محتفظة بألوانهـا إلى اليـوم. وفـى أقصـى مبـانى معبـد الكرنك سجل تحتمس الثالث بالرسومات سجلاً كاملاً للنباتات والحيوانـات التـى جلبها إلى مصر خلال فتوحاته المتعددة.

وفى آخر الزيارة لمعبـد الكرنـك الـذى يمثـل فـى حقيقتـه مدينـة كاملـة تتشابك داخلها مجموعة كبيرة مـن المعابـد, لابـد أن نتوقـف قلـيلاً عنـد الـبحيرة المقدسة حيث يقام عرض الصوت والضوء فى المساء، فتنعكس صورة مبانى الكرنـك على صفحة البحيرة التى كان يستخدمها الكهنة فـى الاغتسـال قبـل دخـولهم إلى المعبد وقيامهم بأداء الطقوس الدينية. وقـد كانـت المراكـب المقدسـة تـترك لـبعض

الوقت فى هذه البحيرة لتستقبل أشعة الشمس المباركة. وفى أركان البحيرة كانت توجد قواعد يعلوها الجعران "خبر" حارس البحيرة. ولم يبق من تماثيل خبر المصنوعة من الجرانيت الوردى سوى تمثال واحد.

وادي الملوك

ذكرنا من قبل السبب الذى أدى إلى تحول الفراعنة عن تشييد الأهرامات واتخاذها مقابر لحفظ أجسادهم وكنوزهم بعدما كثرت أعمال السلب والنهب والبحث عن تلك الكنوز التى كان الوصول إليها داخل الأهرامات أمراً لا يتسم بشيء من الصعوبة. وسجلنا أن الفرعون تحتمس الأول كان أول من أتخذ من وادى الملوك بصحراء طيبة موضعاً لمقبرته التى نحتت فى الصخور. وعلى الرغم من المتاعب التى صادفت العمل فى هذه المنطقة الوعرة التى كان لزاماً على الكهنة والعمال والمهندسين أن ينتقلوا إليها بكل أدواتهم واحتياجات معيشتهم، ظل الفراعنة لوقت طويل يحفرون مقابرهم فى جبالها قبل إغلاقها بطرق لا يعرف معها أين يوجد مدخلها. ومن أهم مقابر وادى الملوك:

مقبرة توت عنخ آمون

فجأة وفى سن الثامنة عشرة توفى الفرعون توت عنخ آمون دون أن يُعد لنفسه مقبرة ملكية مناسبة, ومن سخرية القدر أن يقع الاختيار حينئذ على مقبرة "آى" كبير الكهنة الذى خلفه فى حكم البلاد لتكون مقبرة لجثماته.

والمقبرة مكونة من حجرتين متسعتين بالإضافة إلى ملحقين صغيرين.

وللرغبة الملحة فى سرعة تطوير المقبرة لم يتم تجهيزها بالشكل الذى يليق بفرعون البلاد إذ لم يتم نحت جدرانها وتم الاكتفاء برسم حجرة الدفن وتزيين الملحقين على عجل.

وترجع شهرة هذه المقبرة إلى كونها المقبرة الوحيدة التى لم تمتد إليها أيادى اللصوص، حيث وجد بها عند اكتشافها كم هائل من الكنوز والمقتنيات التى من بينها تابوت ذهبى بلغ وزنه مائة وعشرة كيلوجرامات، وهو معروض الآن إلى جانب القناع الذهبى فى حجرة تضم مقتنيات توت عنخ آمون بالمتحف المصرى. أما الرسومات التى تغطى حجرة الدفن، فتضم مشهداً يبين كيفية سحب التابوت إلى داخل المقصورة، بينما يُظهر مشهد آخر الفرعون آى وهو يقوم بدور الكاهن الأعظم، ويؤدى طقوس فتح الفم والعينين والتى كان يعتقد أنها تُمَكن المتوفى من استعادة حواسه بحسب العقيدة الفرعونية، ونرى فى مشهد ثالث توت عنخ آمون واقفاً فى أكفانه، ومن حوله بعض أفراد عائلته الذين يتابعون بعثه حيث نرى رسماً آخر لتوت عنخ آمون وقد بُعث من جديد. وفى أسفل أحد الجدران نجد تقسيماً للعالم السفلى الذى يُمَثل باثنى عشر ساعة على هيئة أثنى عشر قرداً. وفى مشهد آخر نشاهد إله التحنيط فى صورة "ابن آوى". وعلى رغم احتواء حجرة الدفن الرئيسية على الكثير من المقتنيات النفيسة، نلاحظ أن جدرانها لم تكن ممهدة تماماً نظراً للتسرع الذى ساد العمل بها.

مقبرة رمسيس السادس

تسبب الردم الناتج من الكشف عن تلك المقبرة والذى غطى مدخل مقبرة

توت عنخ آمون فى تأخير اكتشاف الثانية حتى عام 1922م. وتعد مقبرة رمسيس السادس من أجمل مقابر وادى الملوك، وتتميز حجراتها وخاصة حجرة الدفن بالاتساع وروعة المنحوتات على جدرانها، ففى حجرة الدفن حيث هشم اللصوص التابوت الجرانيتى بحثاً عن الكنوز المخبأة به نجد على السقف نقوشاً رائعة للإلهة "نوت" ربة السماء وقد امتد جسدها بطول الحجرة، كما نشاهد قرص الشمس وقد راح ينتقل خلال ساعات النهار الاثنى عشر من الشرق إلى الغرب قبل أن يختفى ليولد من جديد.

مقبرة آمنحوتب الثاني

تتميز هذه المقبرة بانحدارها الشديد، وهى غير ممهدة عدا حجرة الدفن التى يوجد بها التابوت الحجرى المصنوع من حجر الكوارتز. وهذه المقبرة تكاد تكون فريدة فى رسوماتها التى تظهر وكأنها لفافات بردية مفتوحة تتناثر فى جنباتها أشكال الآلهة والبشر بنسب رسم غريبة، فتظهر وكأنها عيدان من الكبريت.

تم العثور فى هذه المقبرة على أربعة عشر من المومياوات الملكية كان أحد الكهنة قد أخذ على عاتقه مسئولية نقلها من مقابرها المنهوبة إلى تلك المقبرة حيث سجل على أكفان كل مومياء أسم صاحبها، وقد ساعد ذلك كثيراً على التعرف عليها عند اكتشاف المقبرة. وتابوت آمنحوتب الثانى مصنوع على هيئة خرطوشة كبيرة تحيط بها كل من إيزيس ونفتيس لحماية جسد الفرعون الممدد داخل التابوت.

مقبرة سيتى الأول

تم اكتشاف هذه المقبرة عام 1817م على يد الرحالة الإيطالى "بلزونى" الذى تمكن من دخول هرم خفرع وتمتد مقبرة سيتى الأول بطول مائة وتسعة عشر متراً بينما يصل عمقها إلىّ نحو خمسين متراً. وقد ذخرت بالعديد من الرسومات الدينية التى توضح تفاصيل الطقوس الجنائزية كفتح الفم والعينين.

بالقرب من مدخل المقبرة توجد بعض الرسومات التى رسمت باللون الأحمر ثم صححت باللون الأسود قبل إتمام العمل وهى طريقة الفنان الفرعونى لضمان دقة تحقق النسب الطبيعية فى رسوماته. وفى المدخل تتوالى مشاهد الحياة السفلى حتى نصل إلى حجرتين تسبقان حجرة الدفن حيث تحمل جدران إحداهما نقشاً طريفاً يروى قصة إبادة البشرية.

وتحكى تفاصيل القصة كيف غضب الإله آمون من البشر بعدما أمتد به العمر وعزف عباده عن التقرب إليه، وكيف أرسل فى طلب إلهة السماء حتحور حيث كلفها بالانتقام من البشر، ففكرت قليلاً قبل أن تهبط إلى الأرض وتسحق كل من يقابلها بأقدامها وتشرب ما يسيل أمامها من دماء. ومع الوقت صارت حتحور معتادة على شرب دماء البشر، ولاحظ آمون مبالغتها فى ذلك فقام باستدعاء إله الحكمة تحوت وأمره أن يتدبر كيفية وقف هذه المذابح.

دبر تحوت أمره وأحضر كمية من النبيذ الأحمر وسكبها أمام حتحور التى لعقتها بعدما ظنتها دماء بشرية. ويبدو أن حتحور قد أعجبت بذلك الشراب

المسكر، فاستغنت به عن الدماء، وتحولت بذلك إلى رمز للسعادة والمرح. وهكذا نجت البشرية من الدمار بحسب الرواية الفرعونية المنقوشة بتلك الحجرة.

أما الحجرة الثانية فعليها نقوش تبين جانباً من رحلة المتوفى فى العالم الآخر حيث نرى عدداً من الأبواب تخرج منها ألسنة النيران وبجانب كل باب يقف حارس ضخم، وعلى المتوفى أن يتلفظ ببعض التراتيل والتعاويذ السحرية لكى يتمكن من المرور خلال هذه الأبواب بسلام.

وادي الملكات

يضم وادى الملكات مجموعة من أهم وأجمل المقابر الفرعونية نذكر من بينها:

مقبرة الملكة تيتي

الملكة تيتى زوجة أحد الرعامسة، ومقبرتها رغم صغرها تتمتع بجاذبية شديدة نظراً لهدوء ألوانها وتناسقها، فقد دُهنت خلفية الرسومات فى الممر الطويل الذى يصل إلى داخل المقبرة باللون الأبيض، وصورت ملابس الملكة بنفس اللون، وإن كان ذلك لم يمنع الفنان البارع من إظهار الثنيات الشفافة بمنتهى الدقة والاقتدار، وقد نُقشت صورة الملكة وهى تتقدم فى هذا الممر حاملة بعض القرابين مع الاهتمام البالغ بجميع التفاصيل الملونة بألوان غاية فى الروعة والجمال، وكالمعتاد ترتدى الملكة على رأسها باروكة تم تصفيفها بذوق رفيع.

ومن الممر نصل إلى بهو صغير تتفرع منه ثلاث حجرات زينت ببعض الرسومات، وفى الجهة اليمنى من البهو صورت الملكة تيتى وقد تخففت من بعض

أحد المراكب النيلية خلال رحلتها

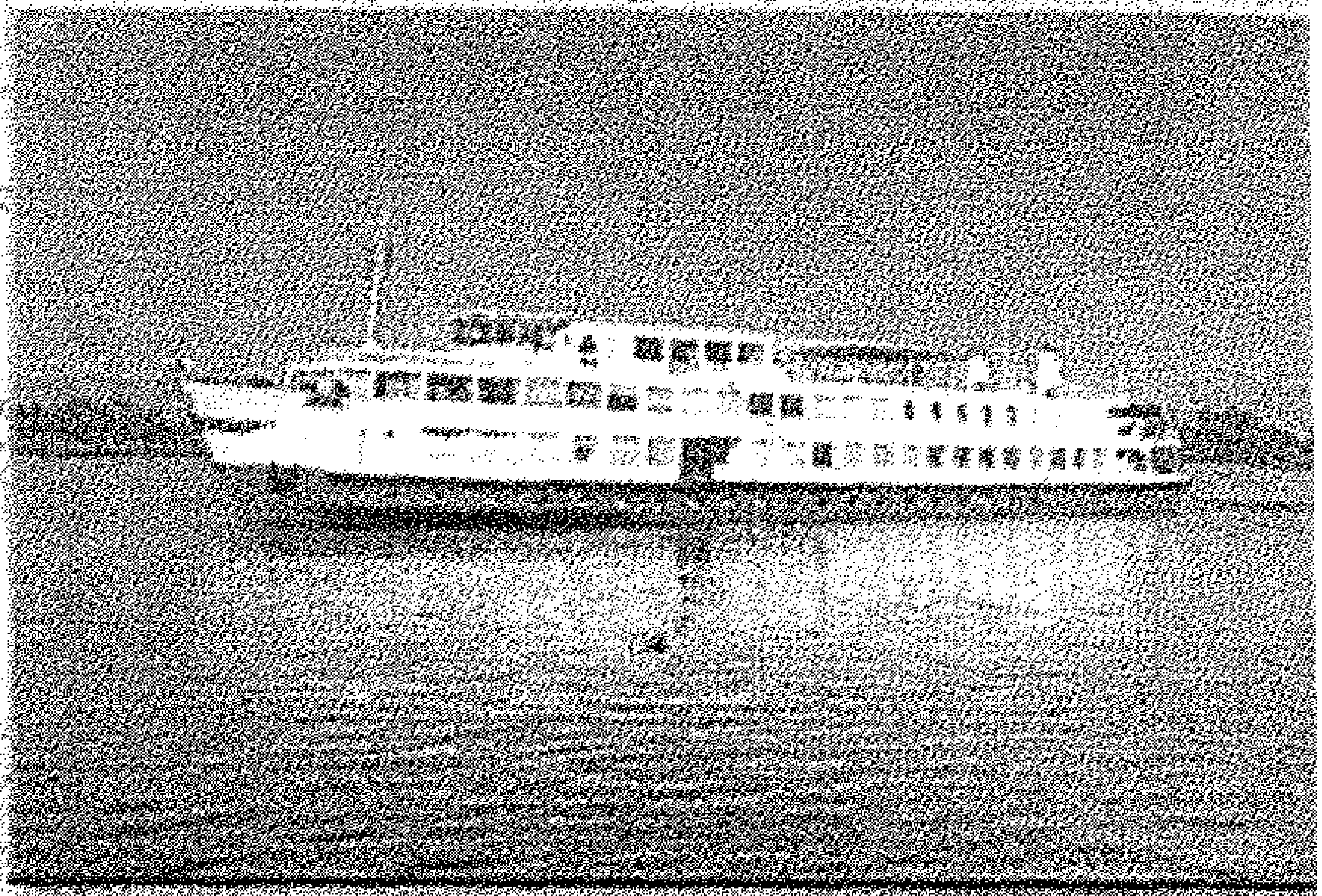

الكاتبة / عقيلة شرين مع السيدة الفاضلة / سوزان مبارك

لوحة مينا - نارمر

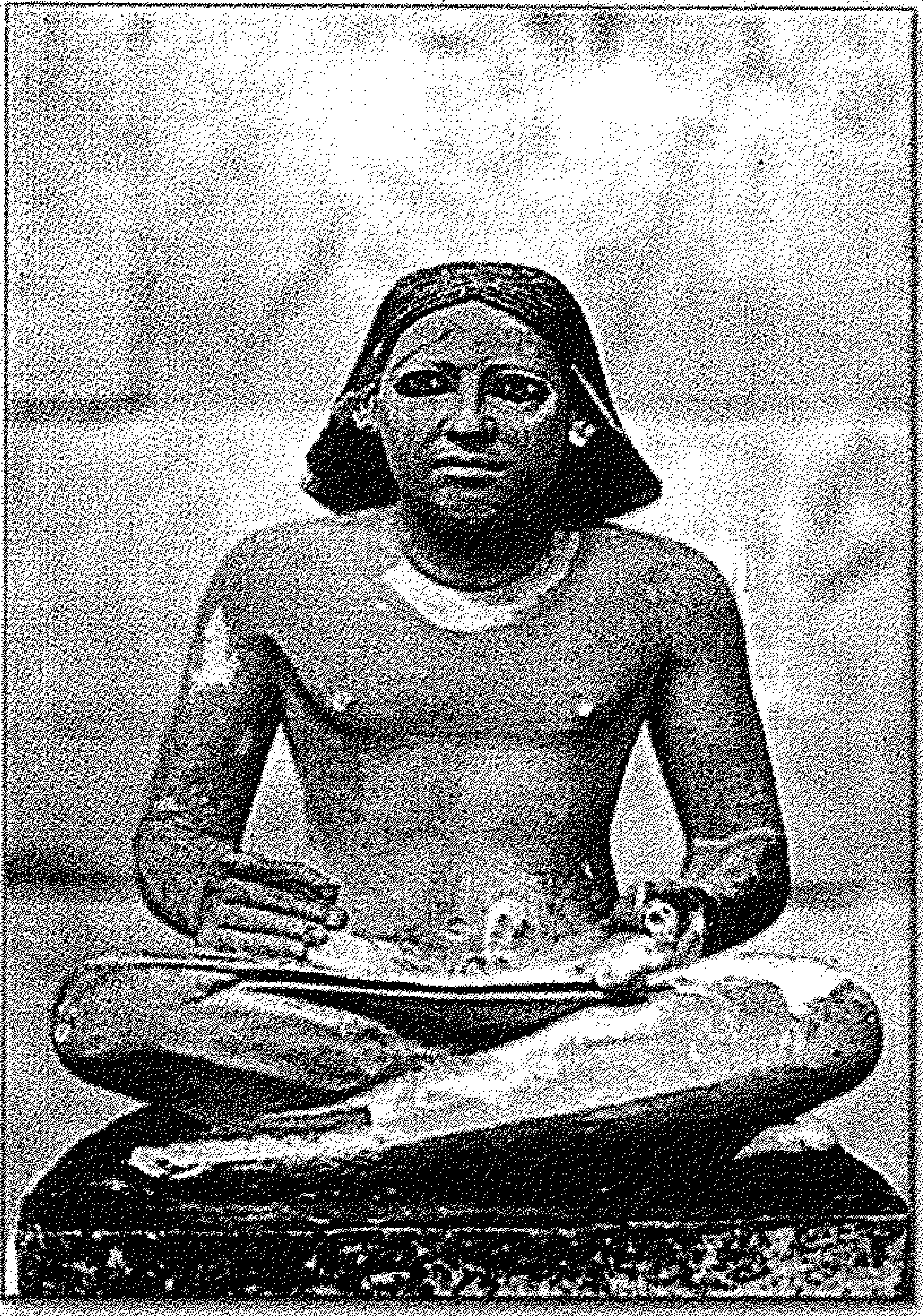

تمثال الكاتب - الأسرة الرابعة

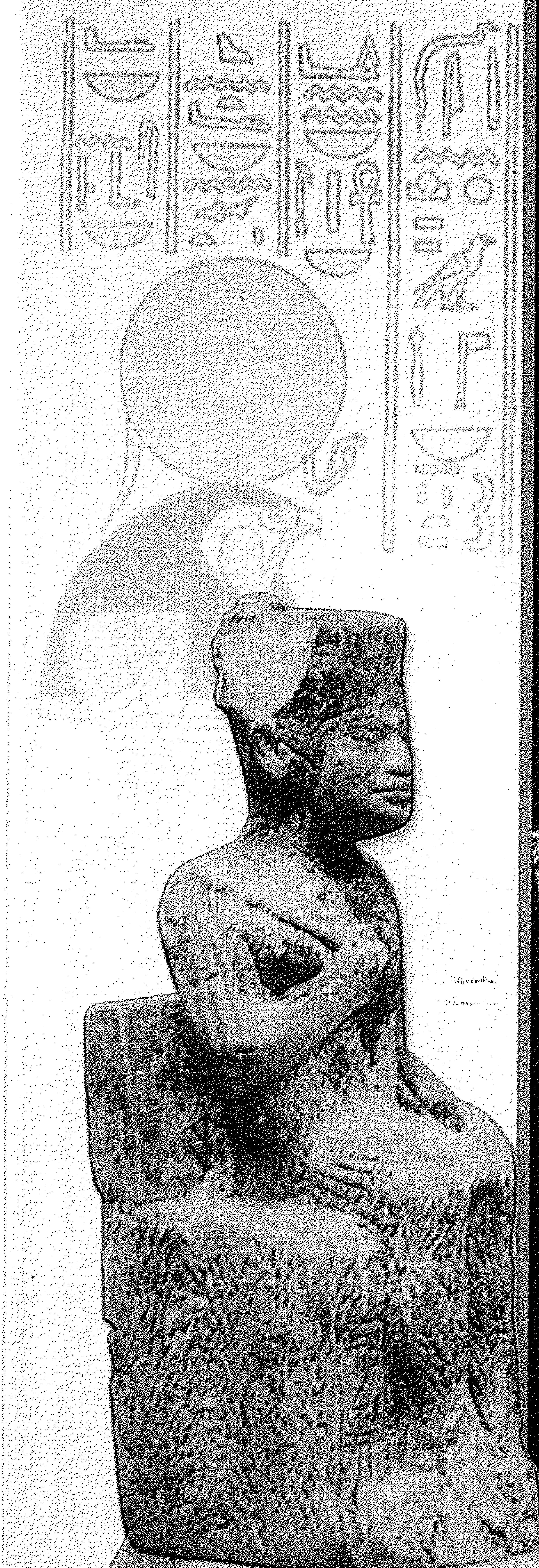

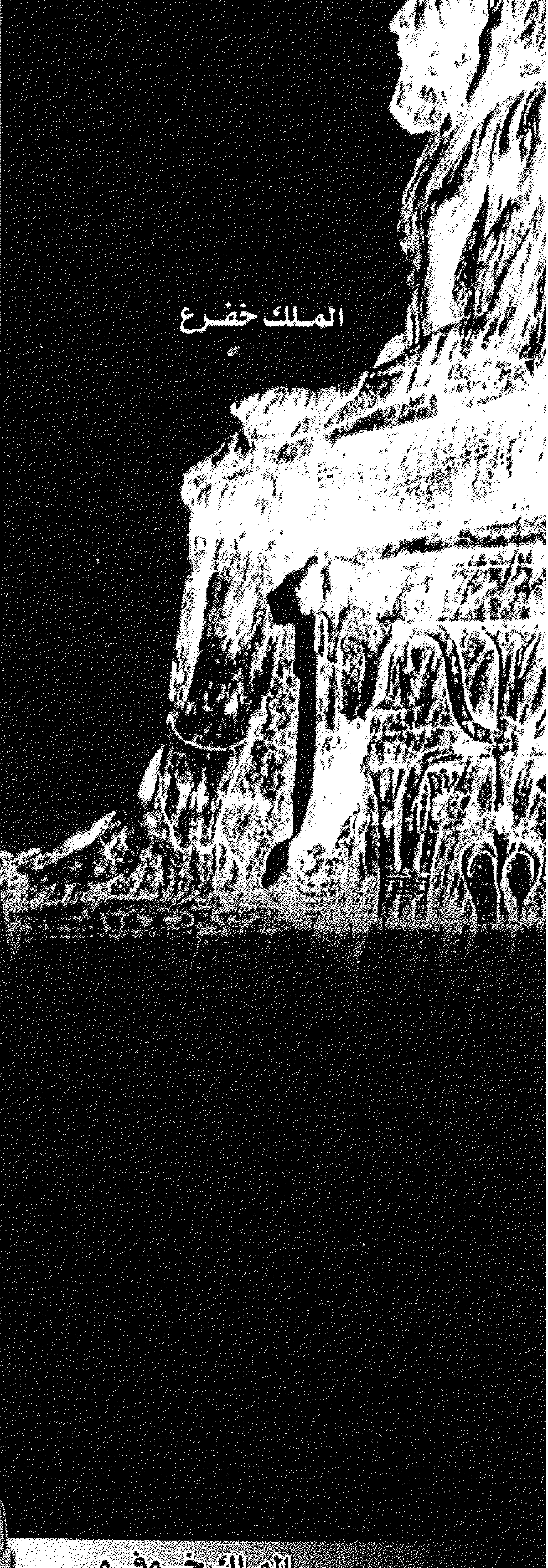

الملك خفرع

الملك خوفو

آمنحوتب الرابع - إخناتون

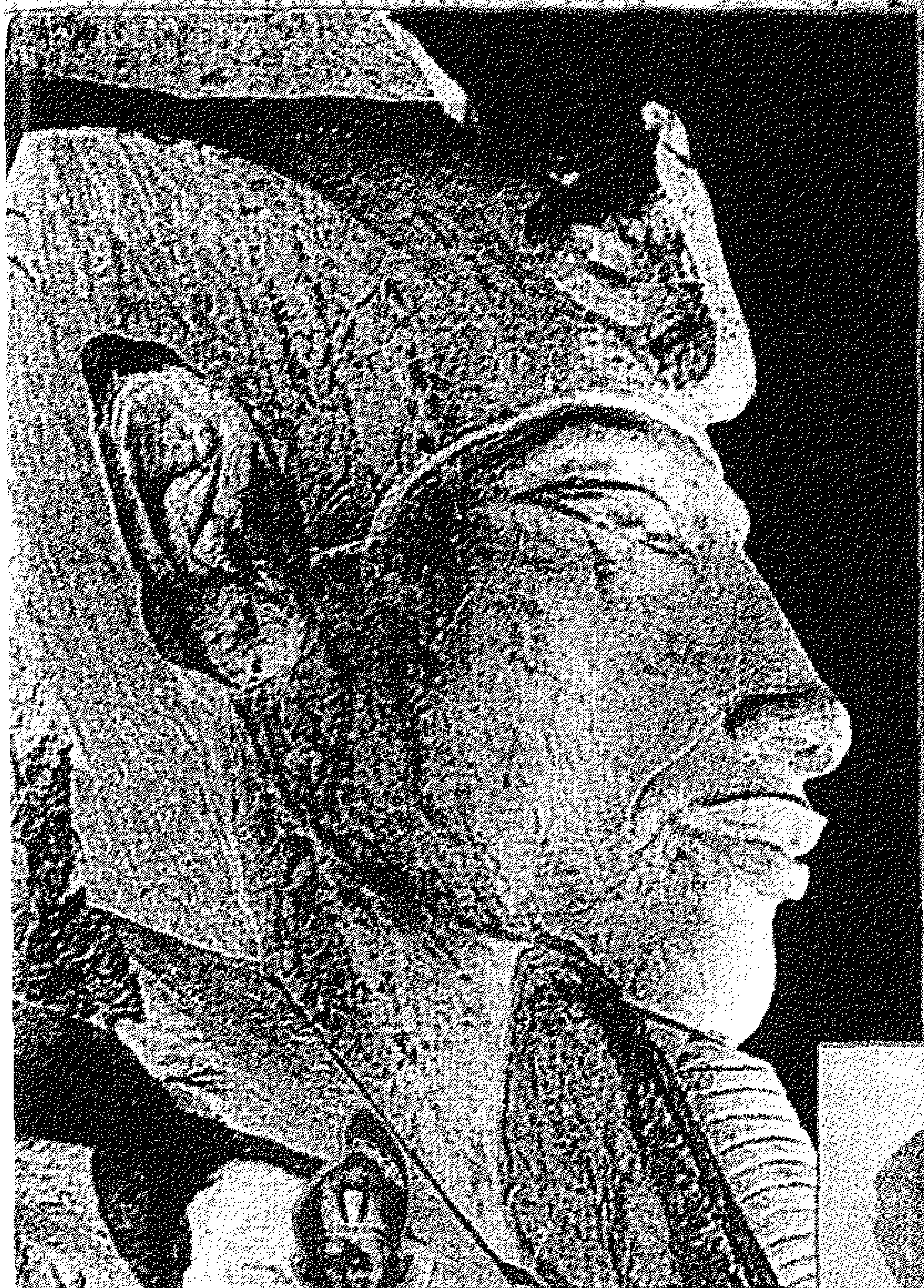

آمنحوتب الثالث والملكة تى

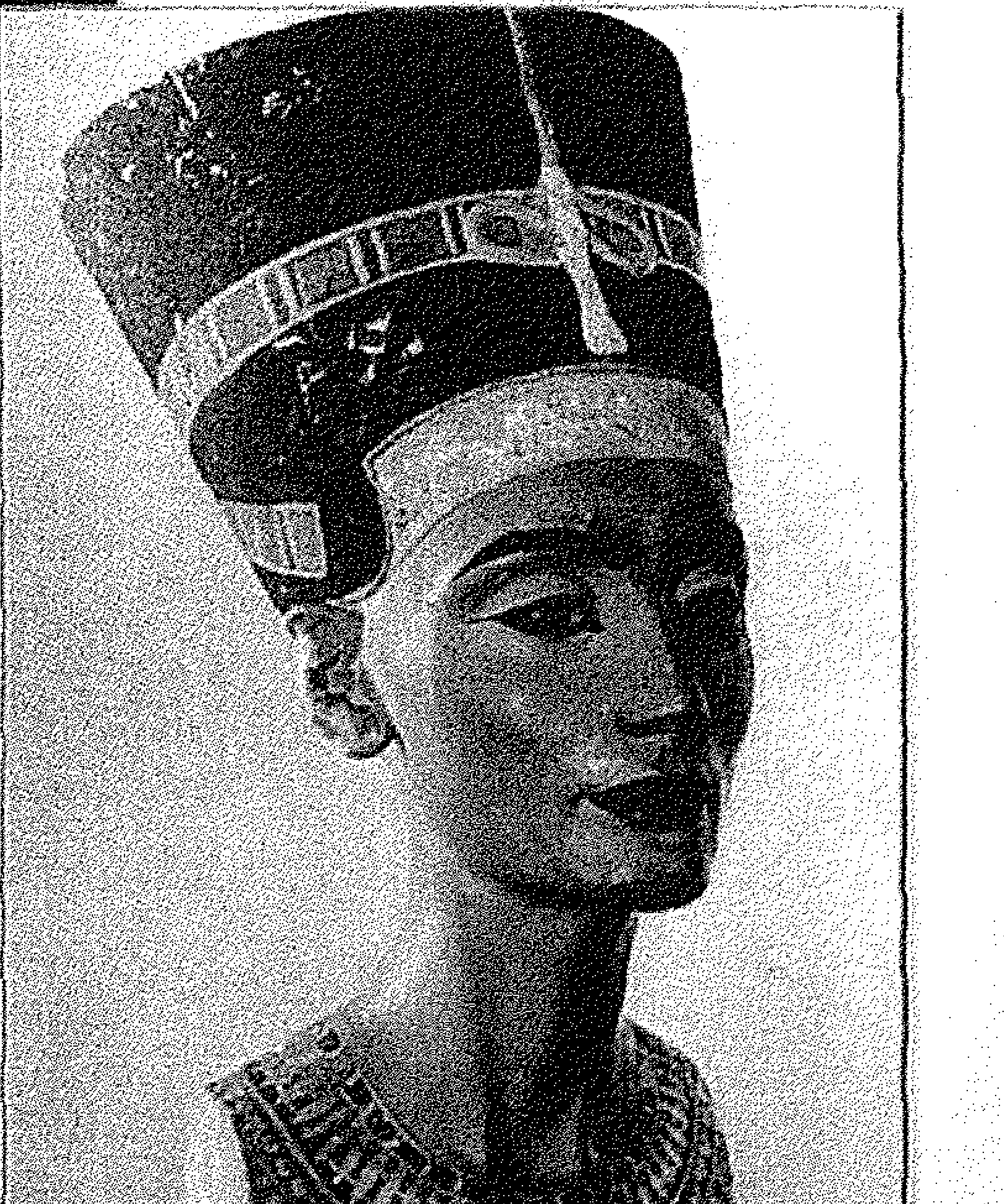

الملكة نفرتيتى

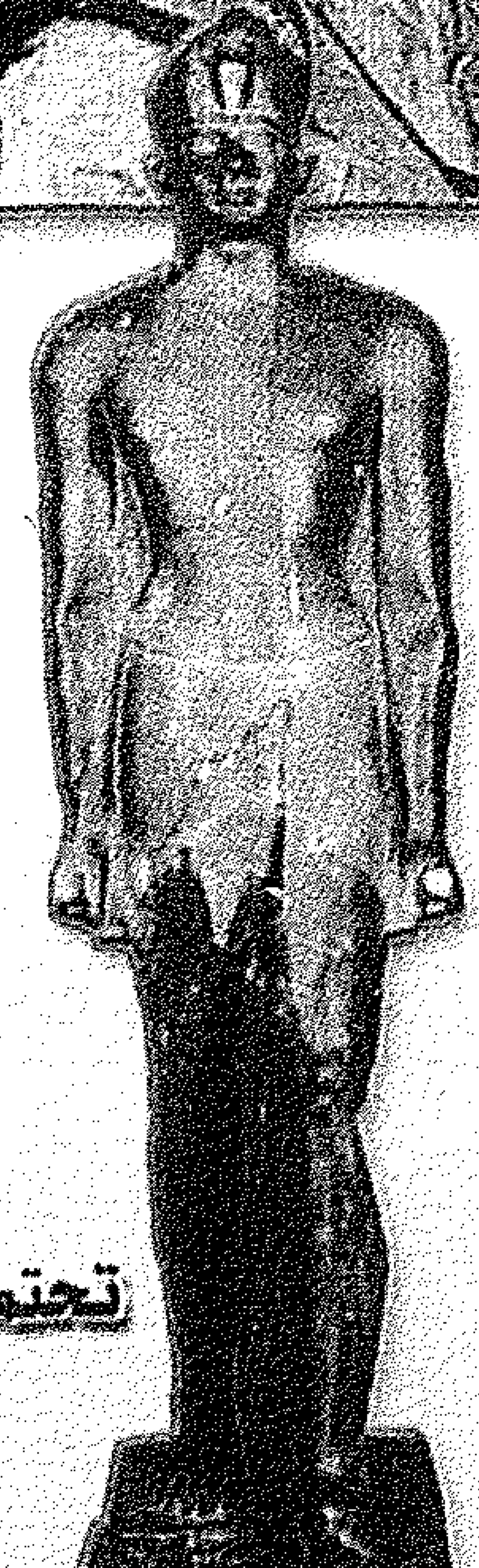

تحتمس الثالث

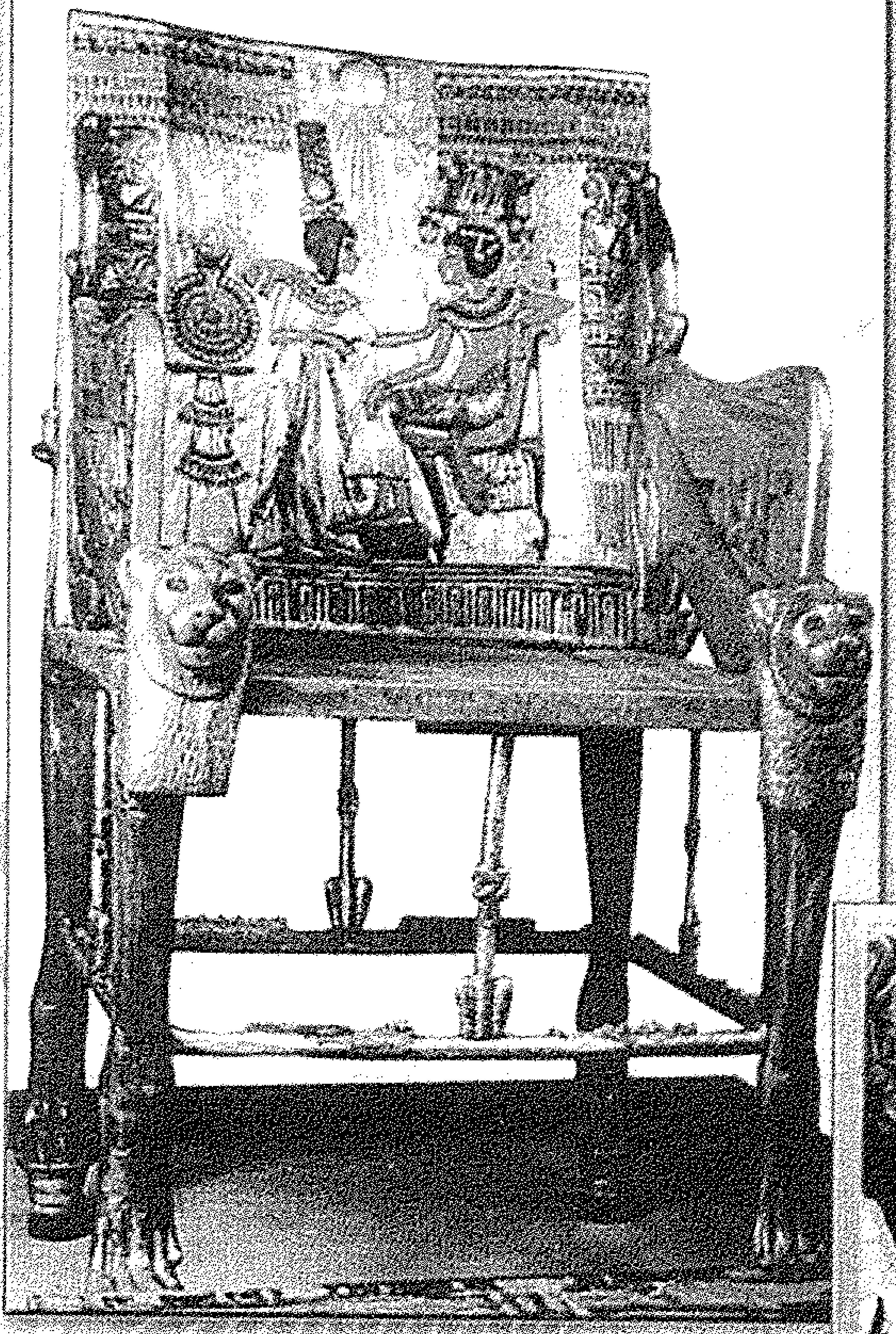

عرش توت عنخ آمون

مومياء رمسيس الثاني

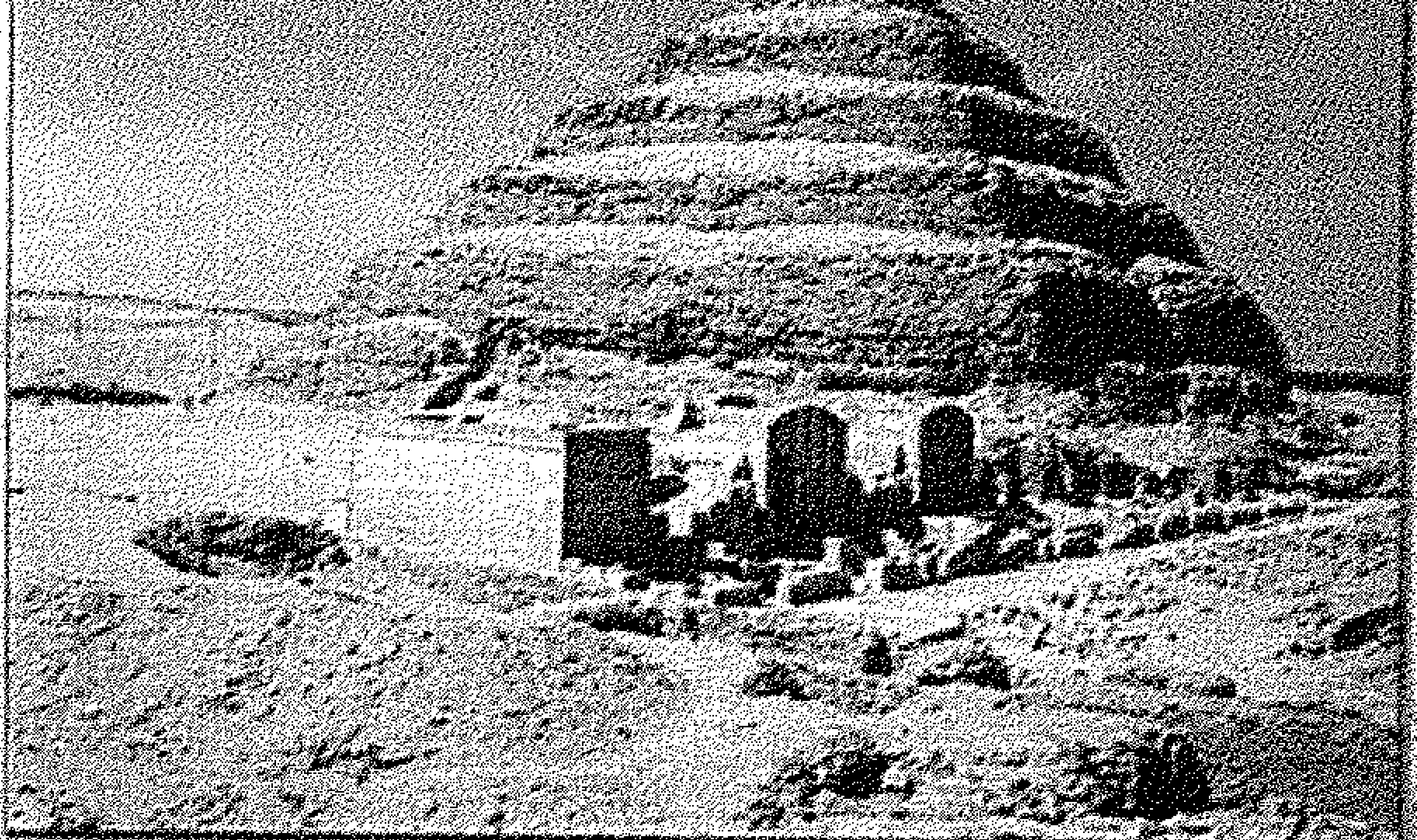

هرم زوسر

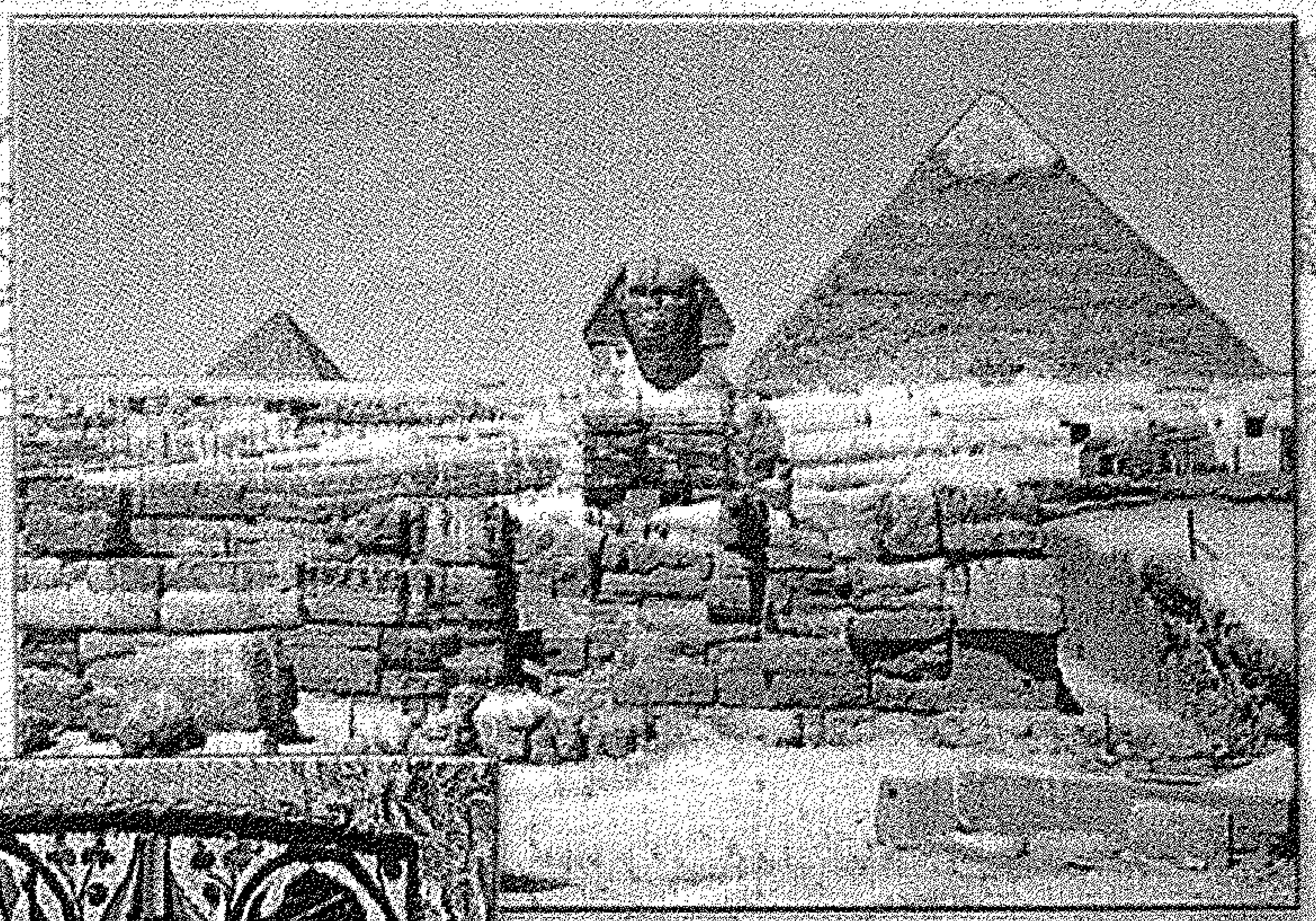

أبو الهـول والأهـرامـات

قطعة من المنسوجات القبطية

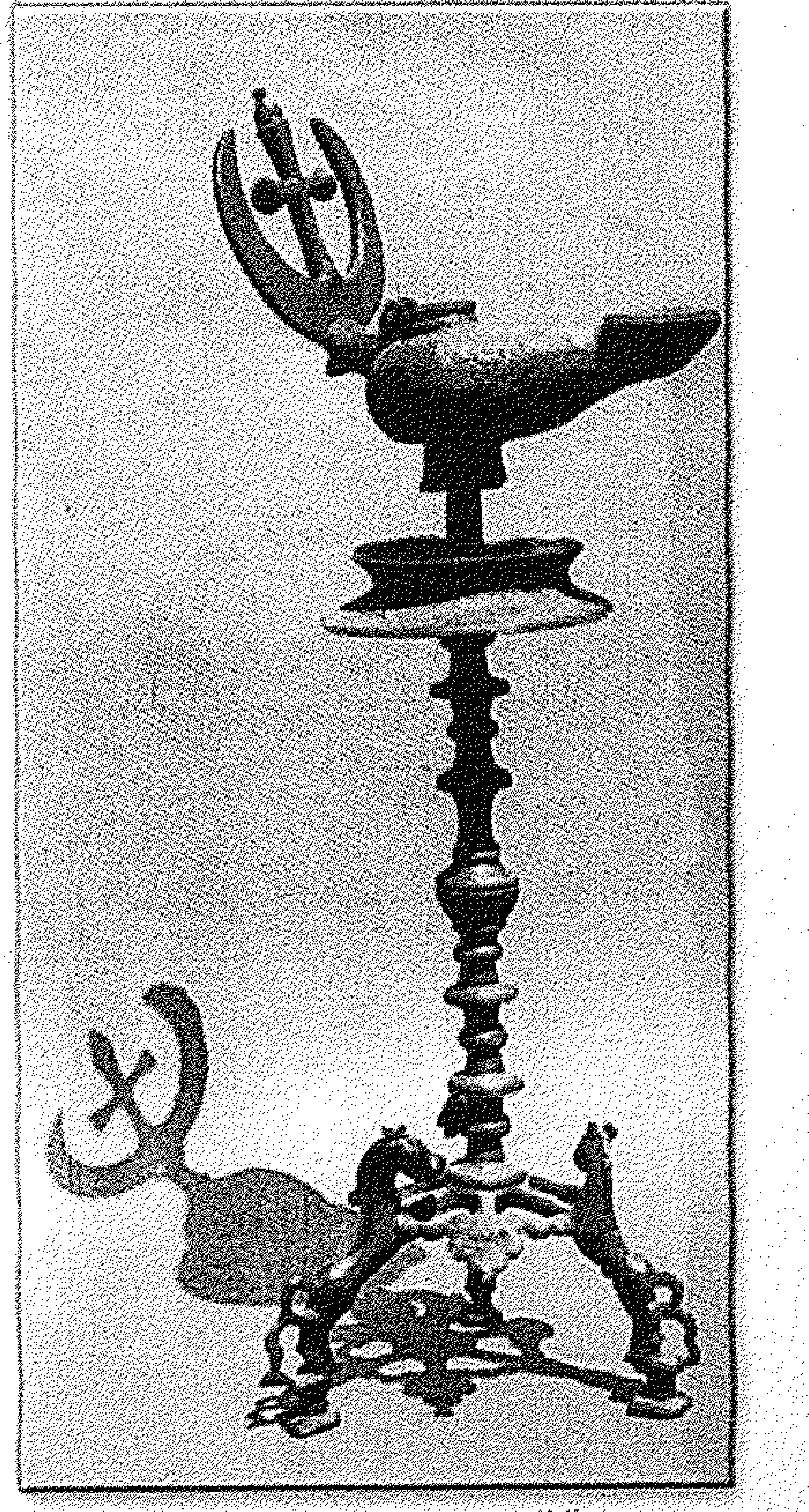

مسرجة تحمل رمز الوحدة الوطنية

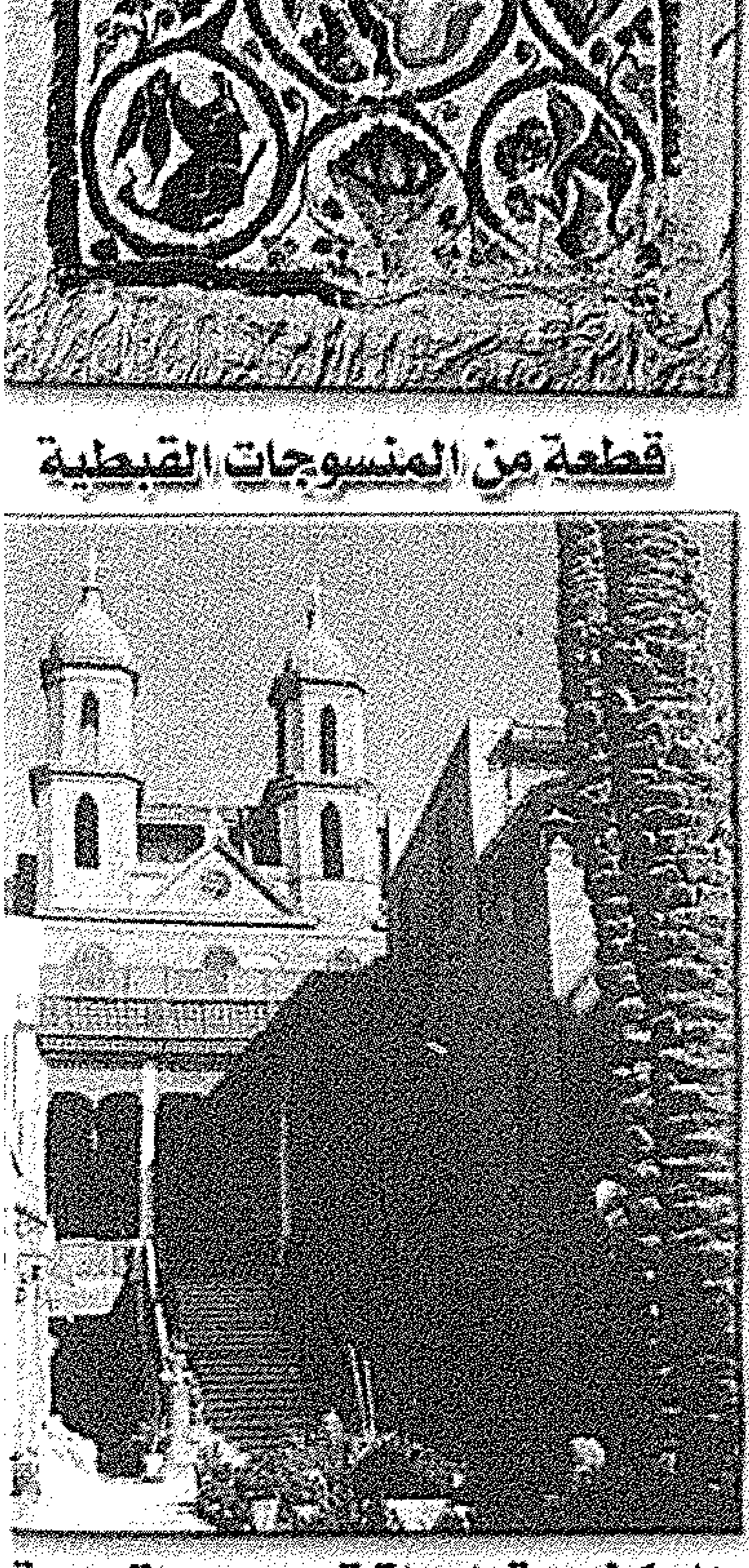

الكنيسة المعلقة - مصر القديمة

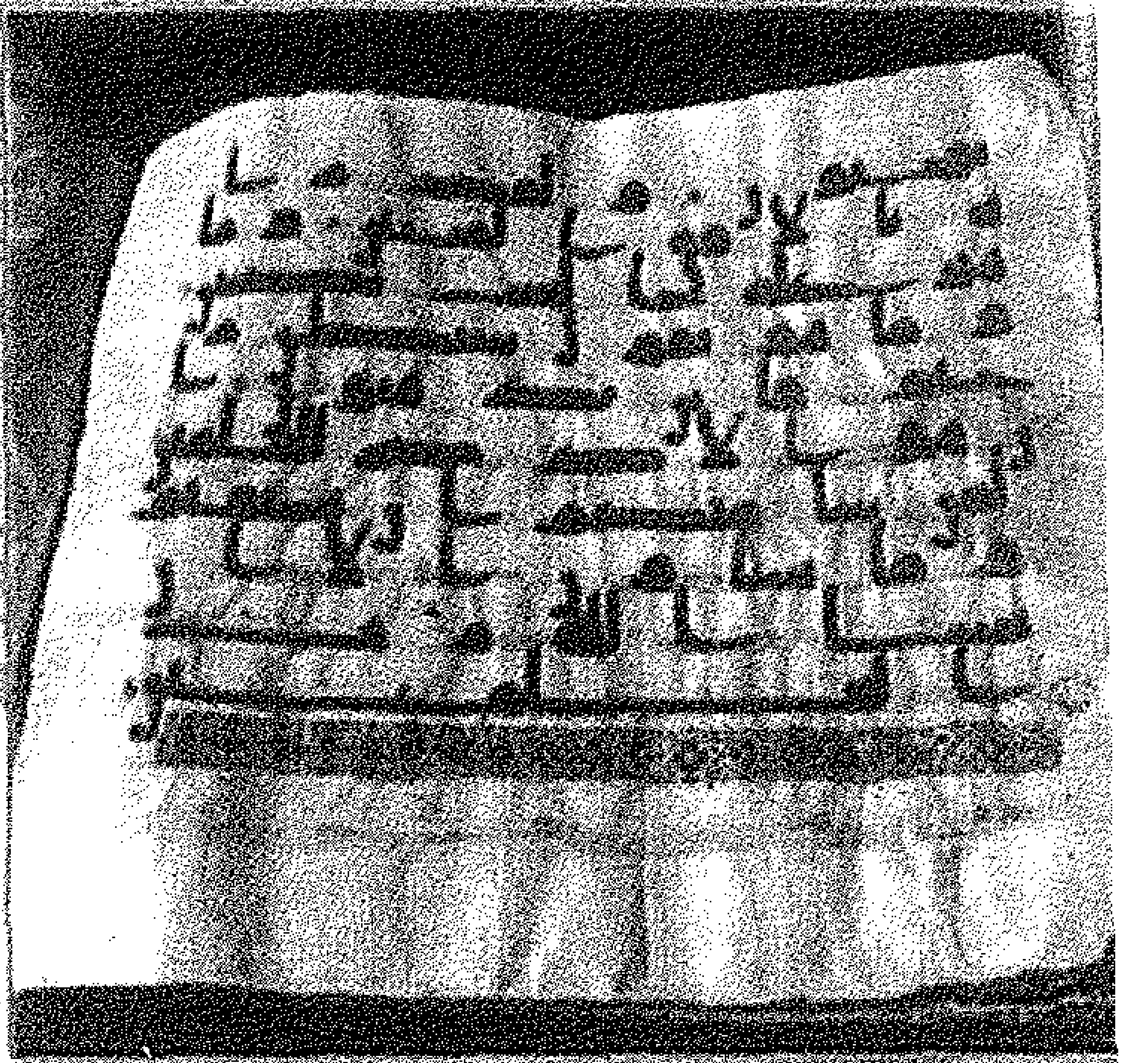

القرآن الكريم - القرن الثامن

مشكاة إسلامية

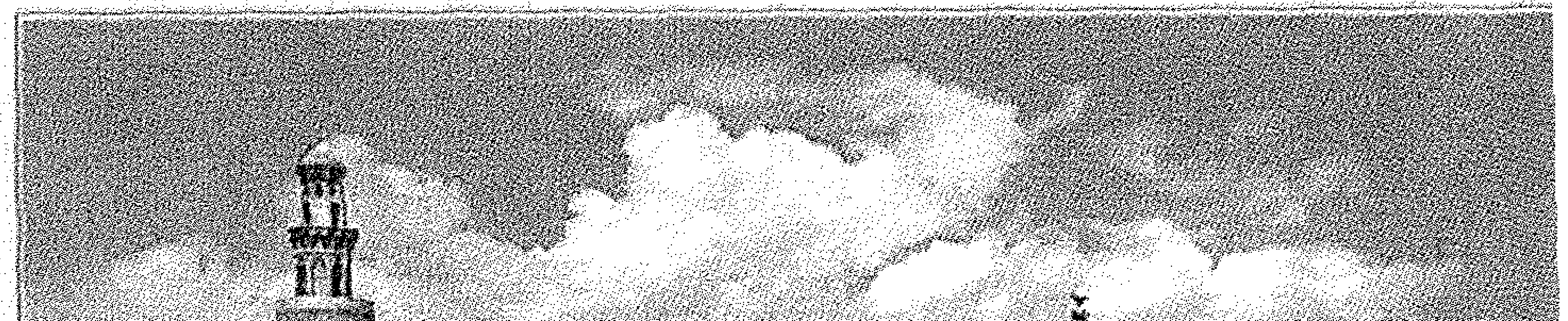

مسجد أحمد بن طولون

مسجد محمد على - القلعة

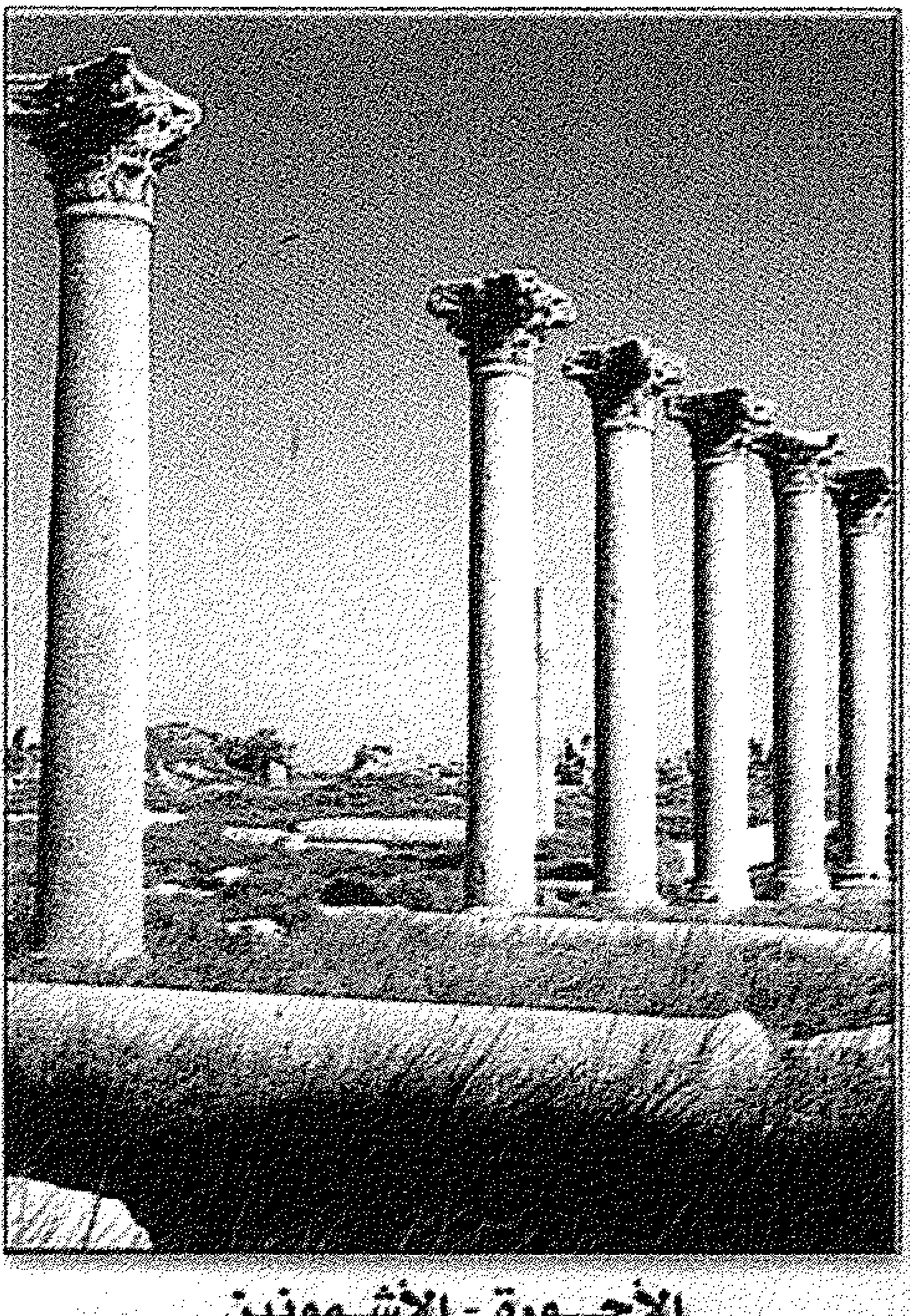

الأجورة - الأشمونين

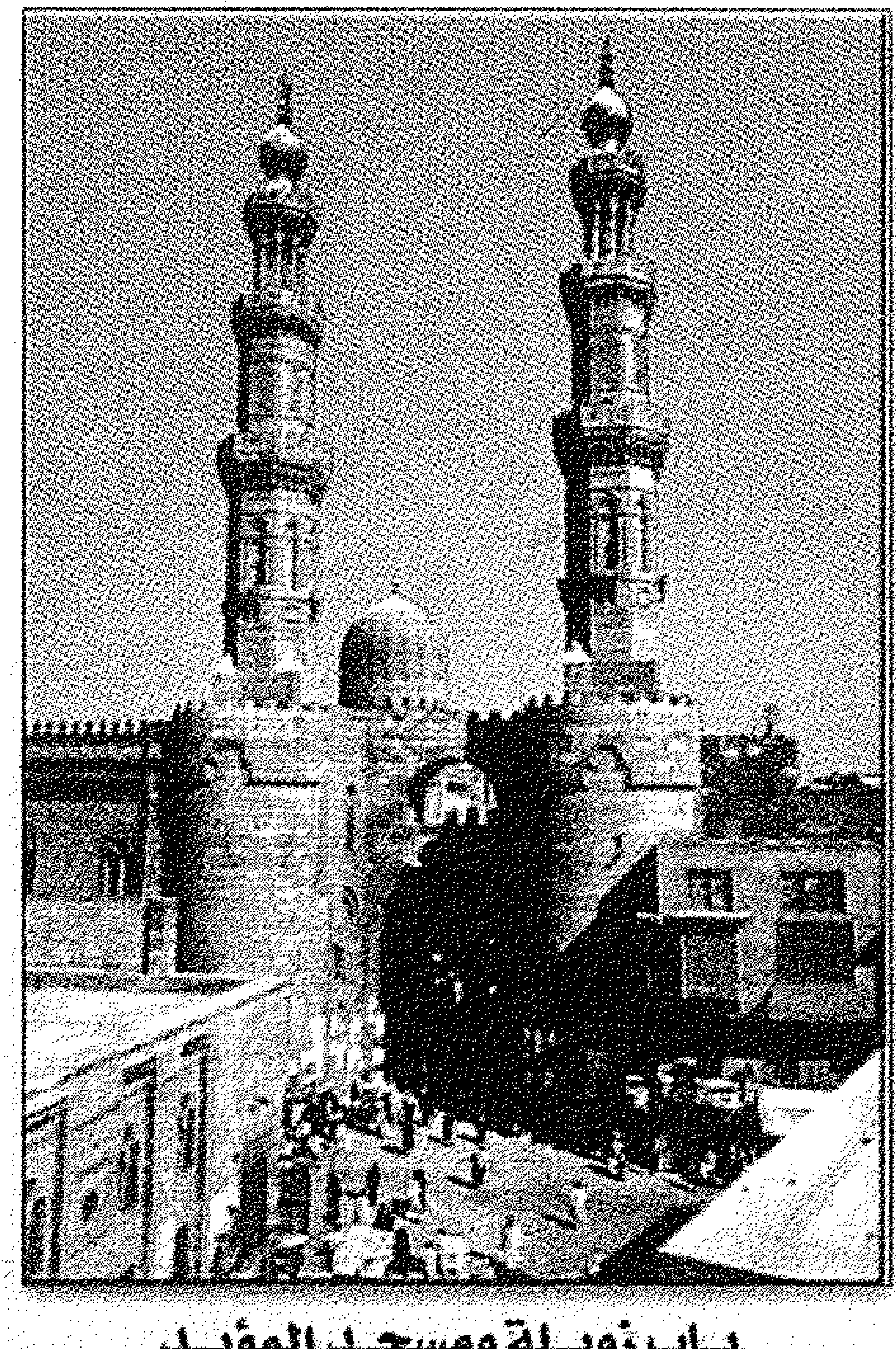

باب زويلة ومسجد المؤيد

أسرة إخناتون - تل العمارنة

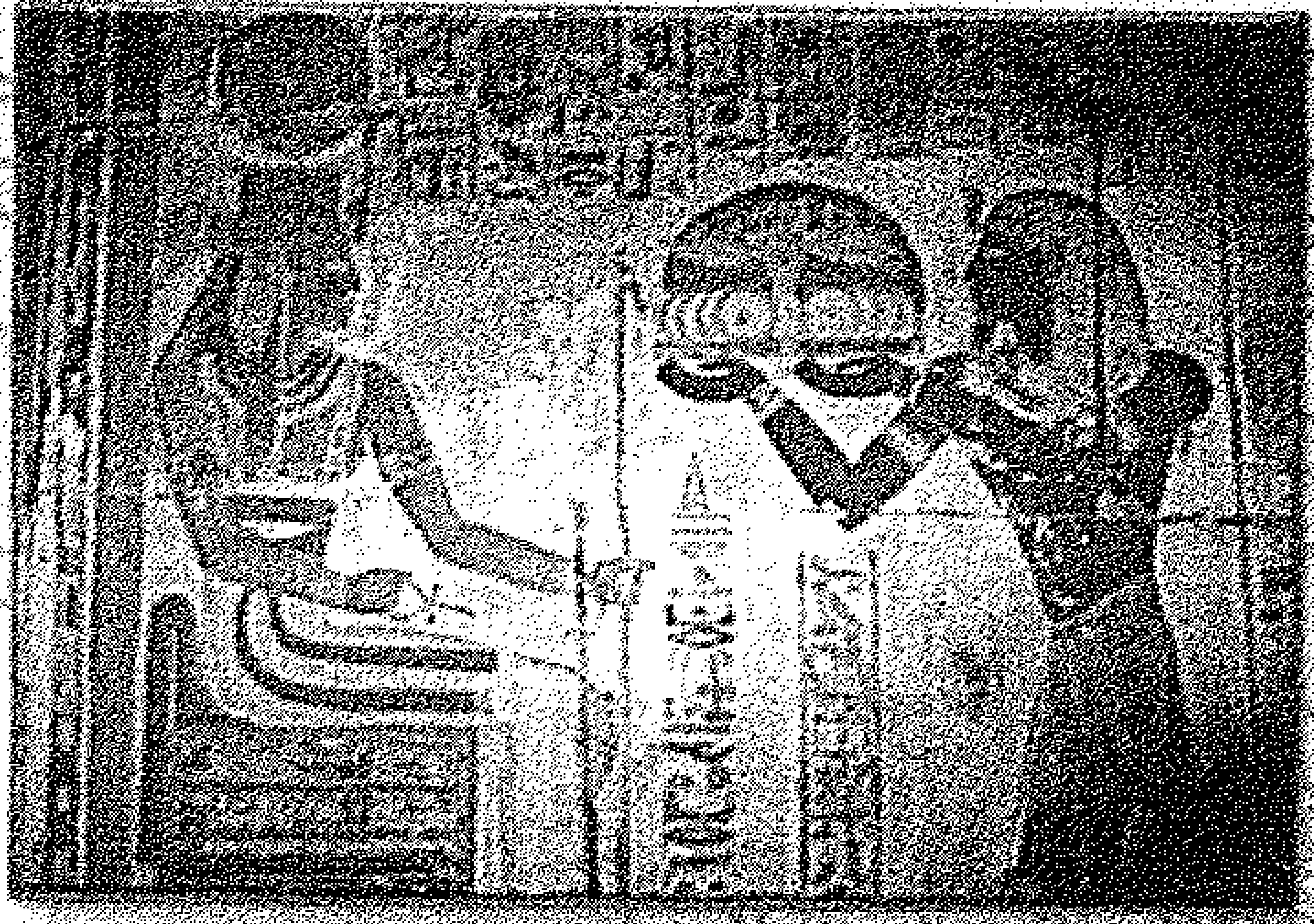

سيتي الأول وحتحور - معبد أبيدوس

معبد أبيدوس

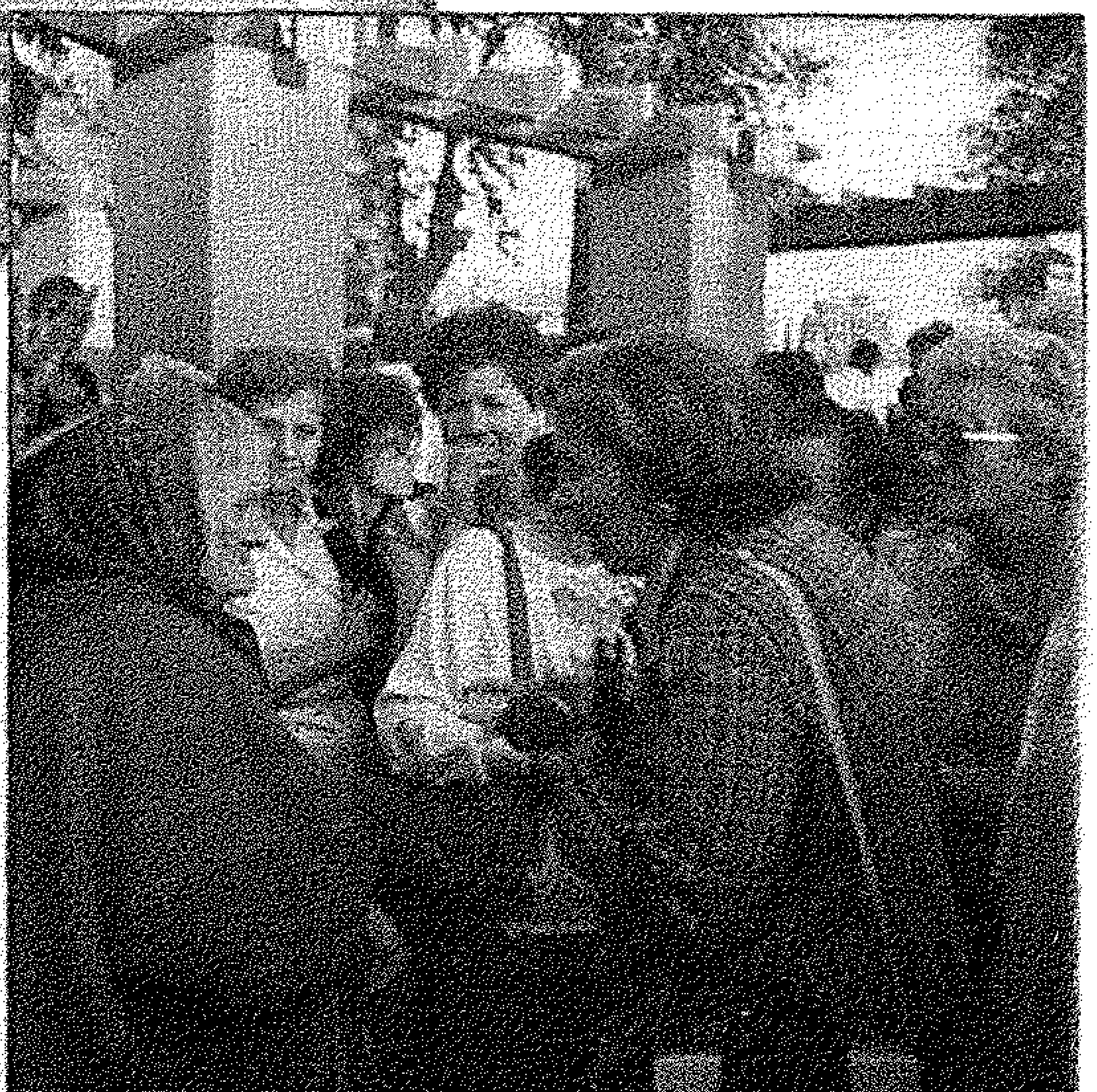

أم سيتي

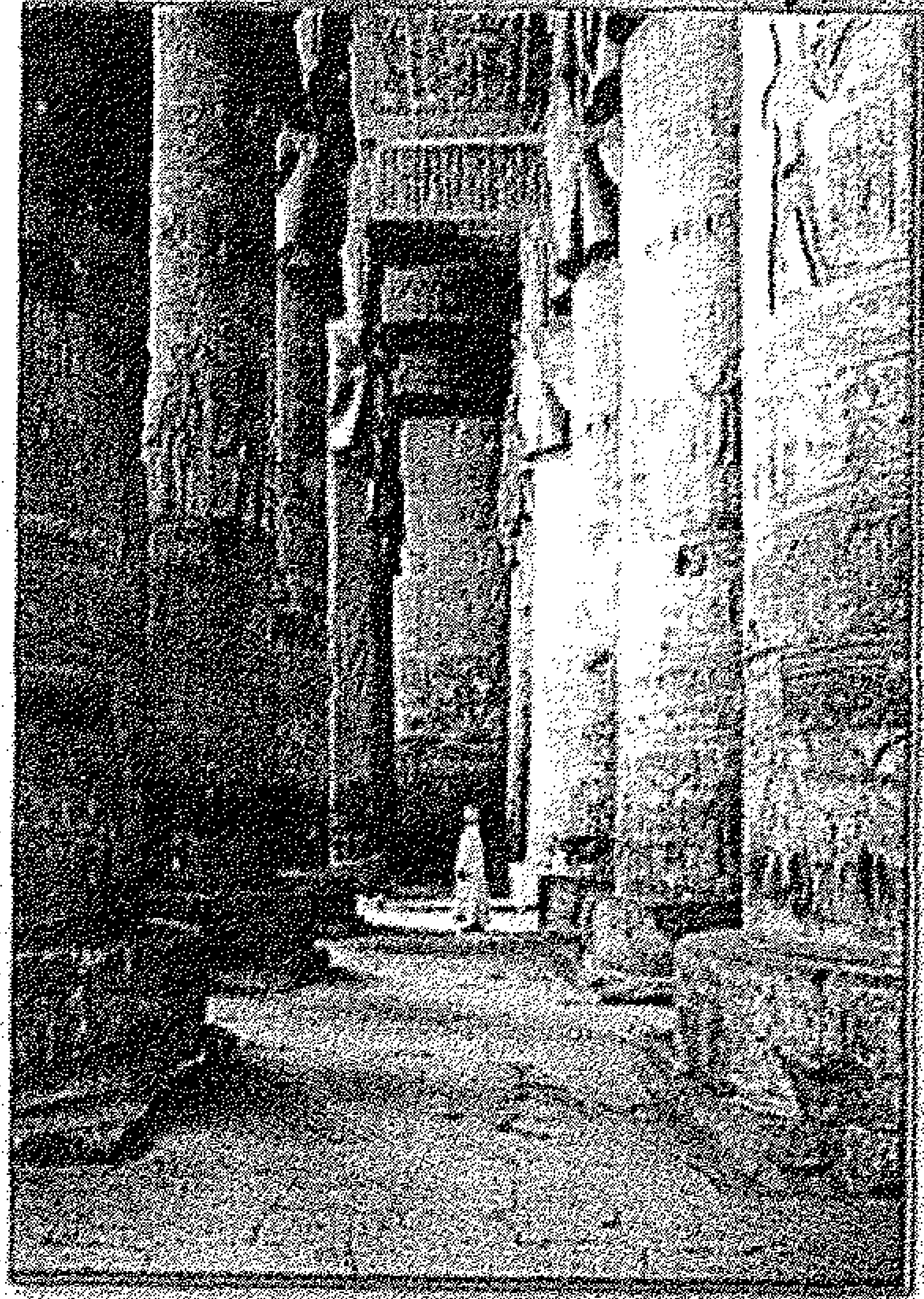

معبد حتحور - دندرة

كليوباترا وقيصر - دندرة

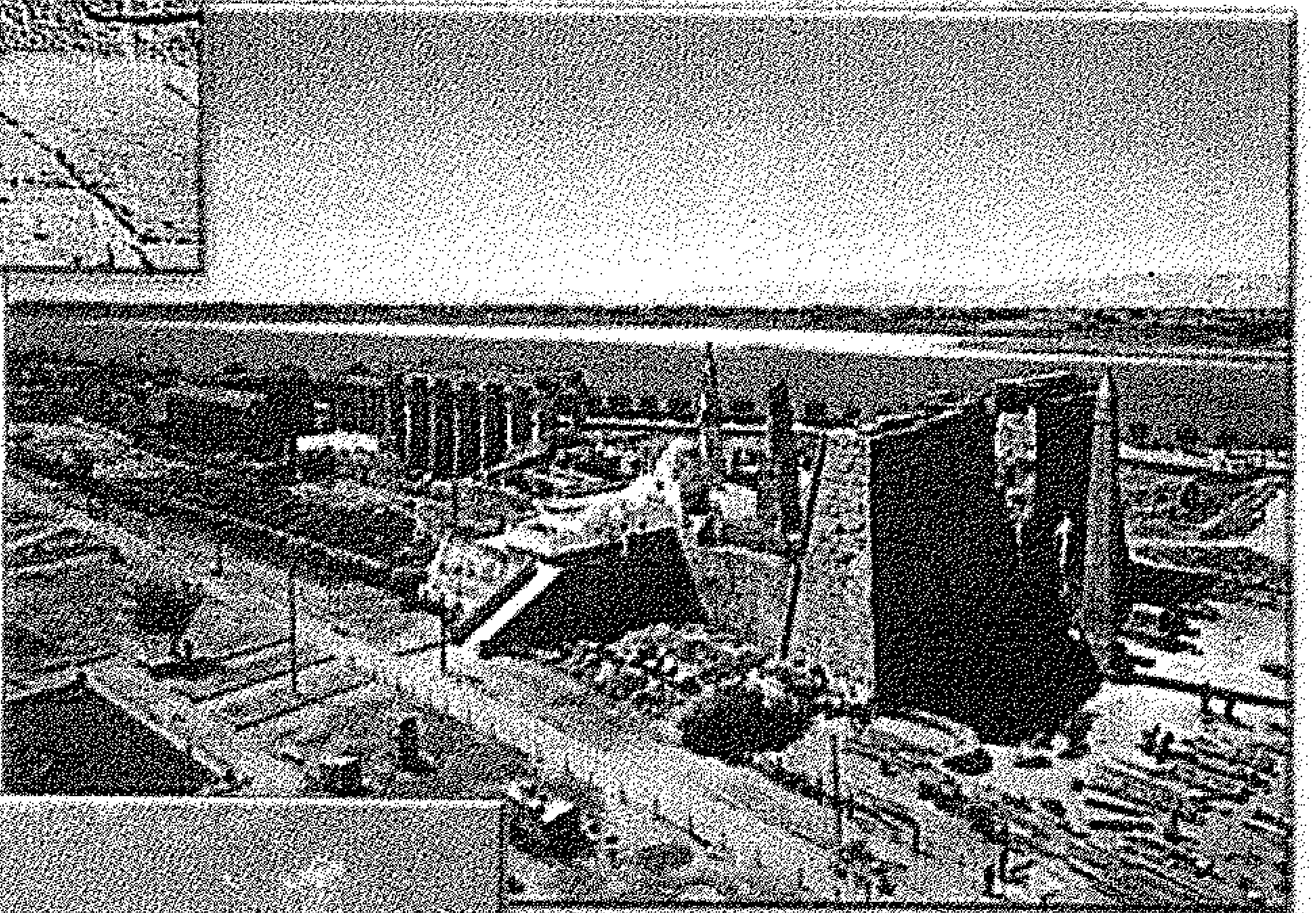

معبد الأقصر

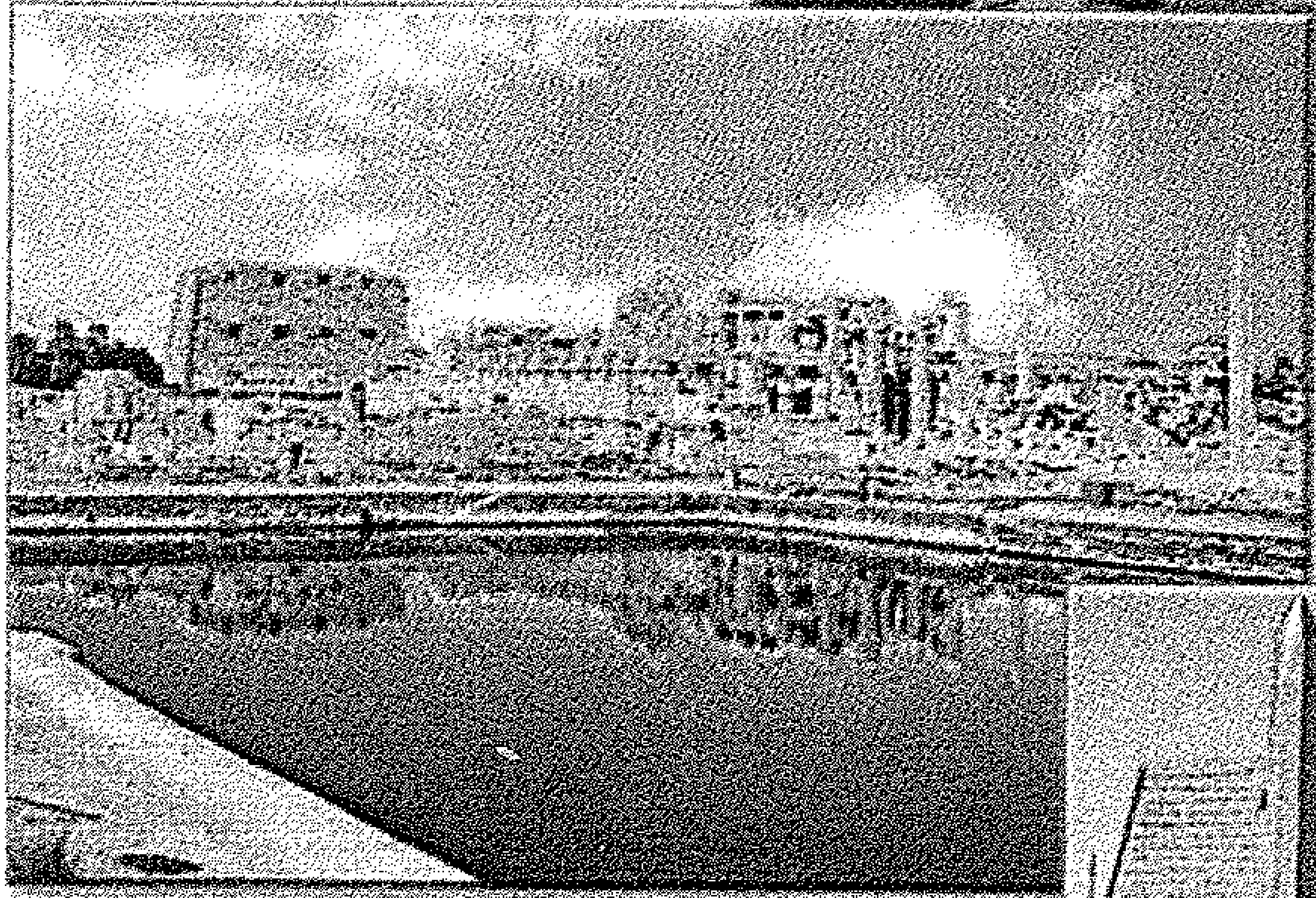

البحيرة المقدسة - الكرنك

صرح آمون - الكرنك

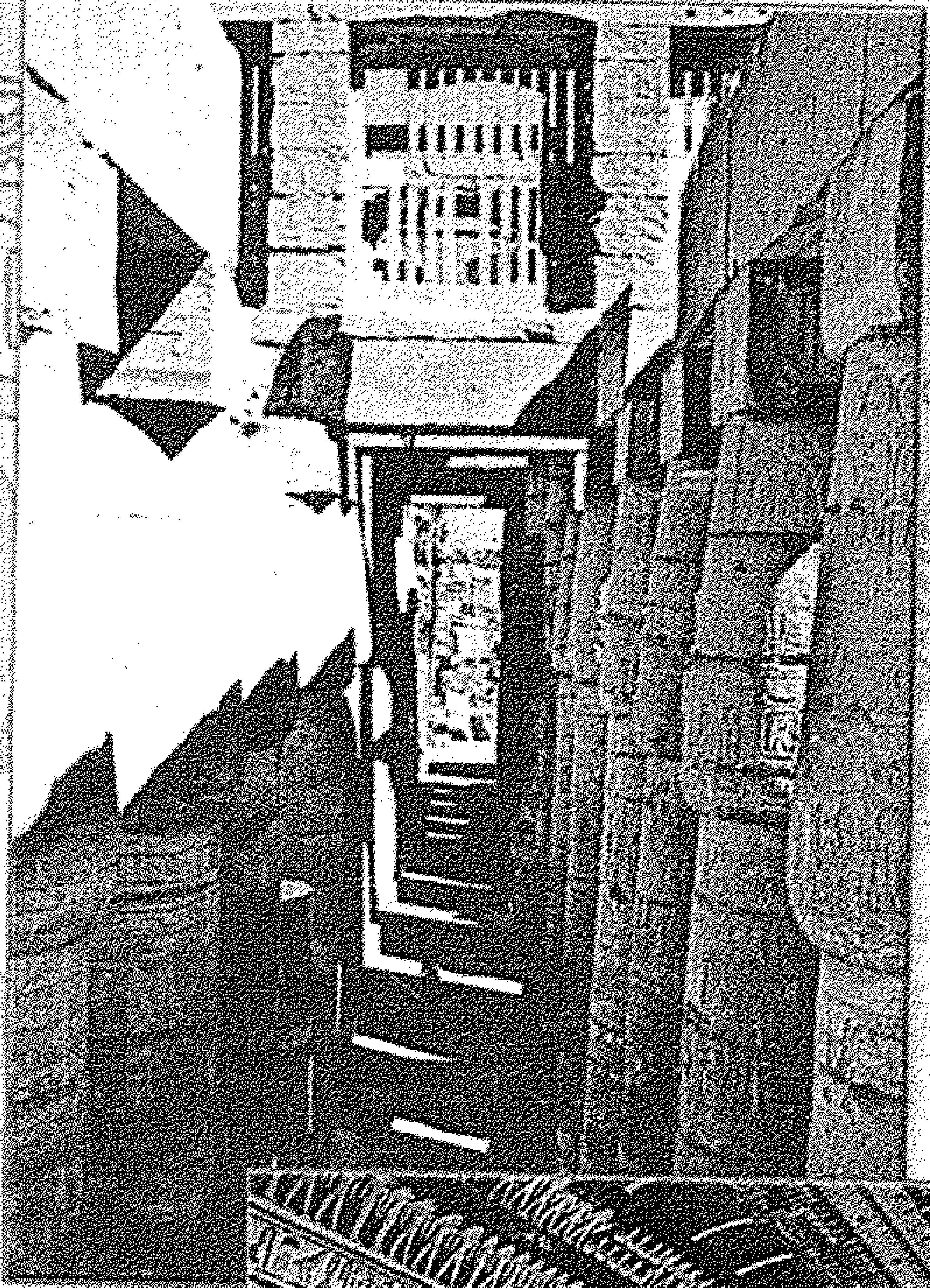

بهو الأعمدة - الكرنك

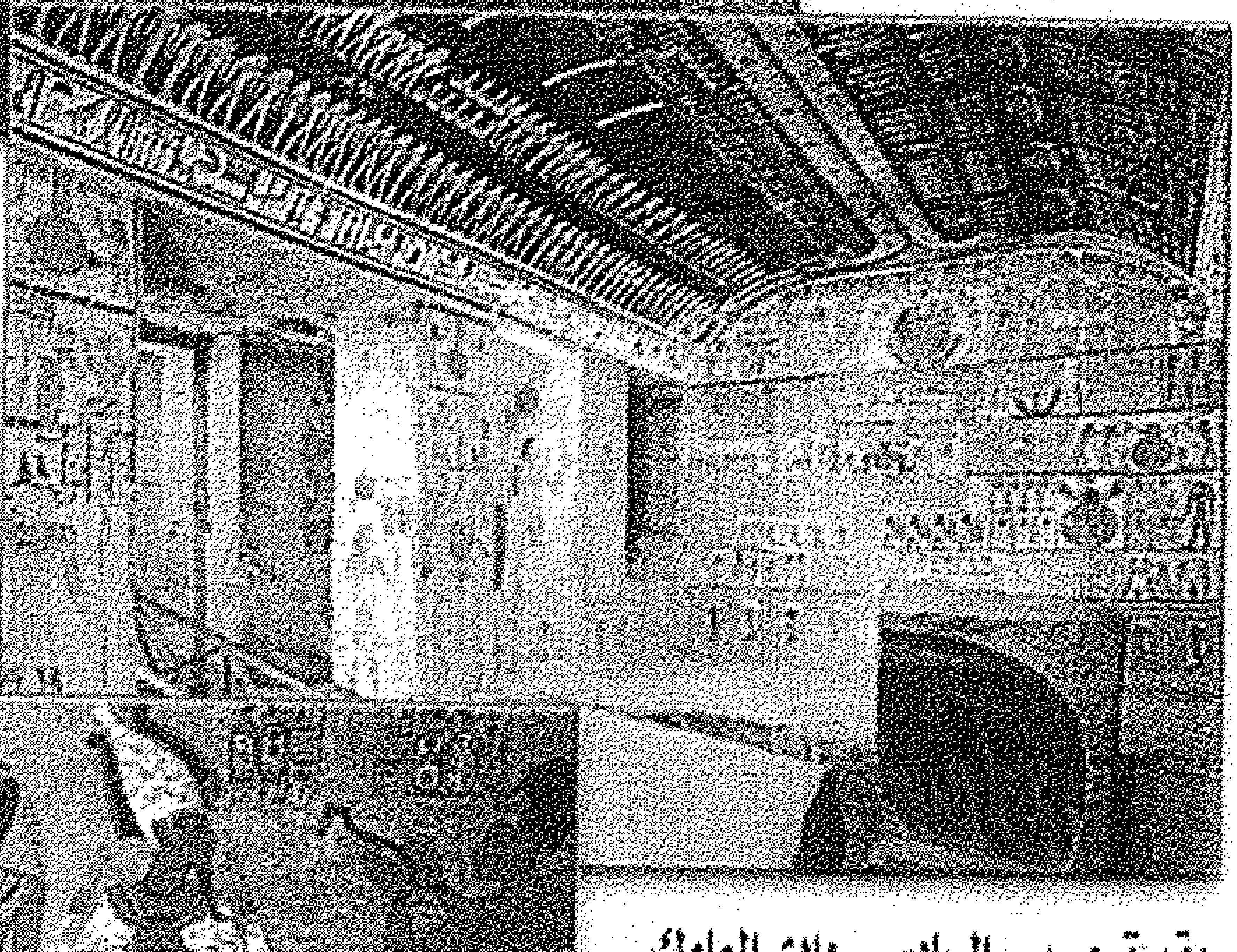

مقبرة رمسيس السادس - وادى الملوك

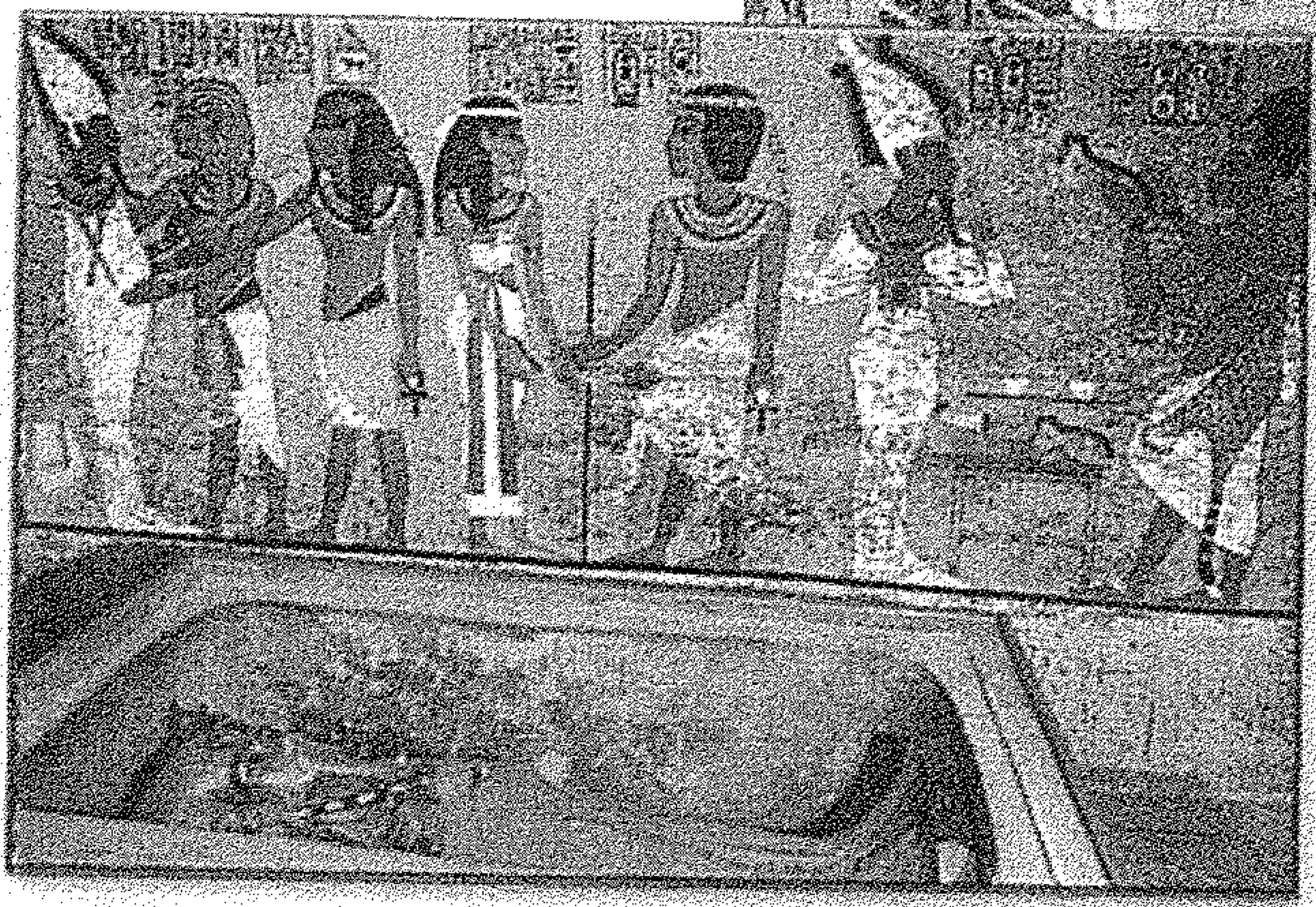

مقبرة توت عنخ آمون - وادى الملوك

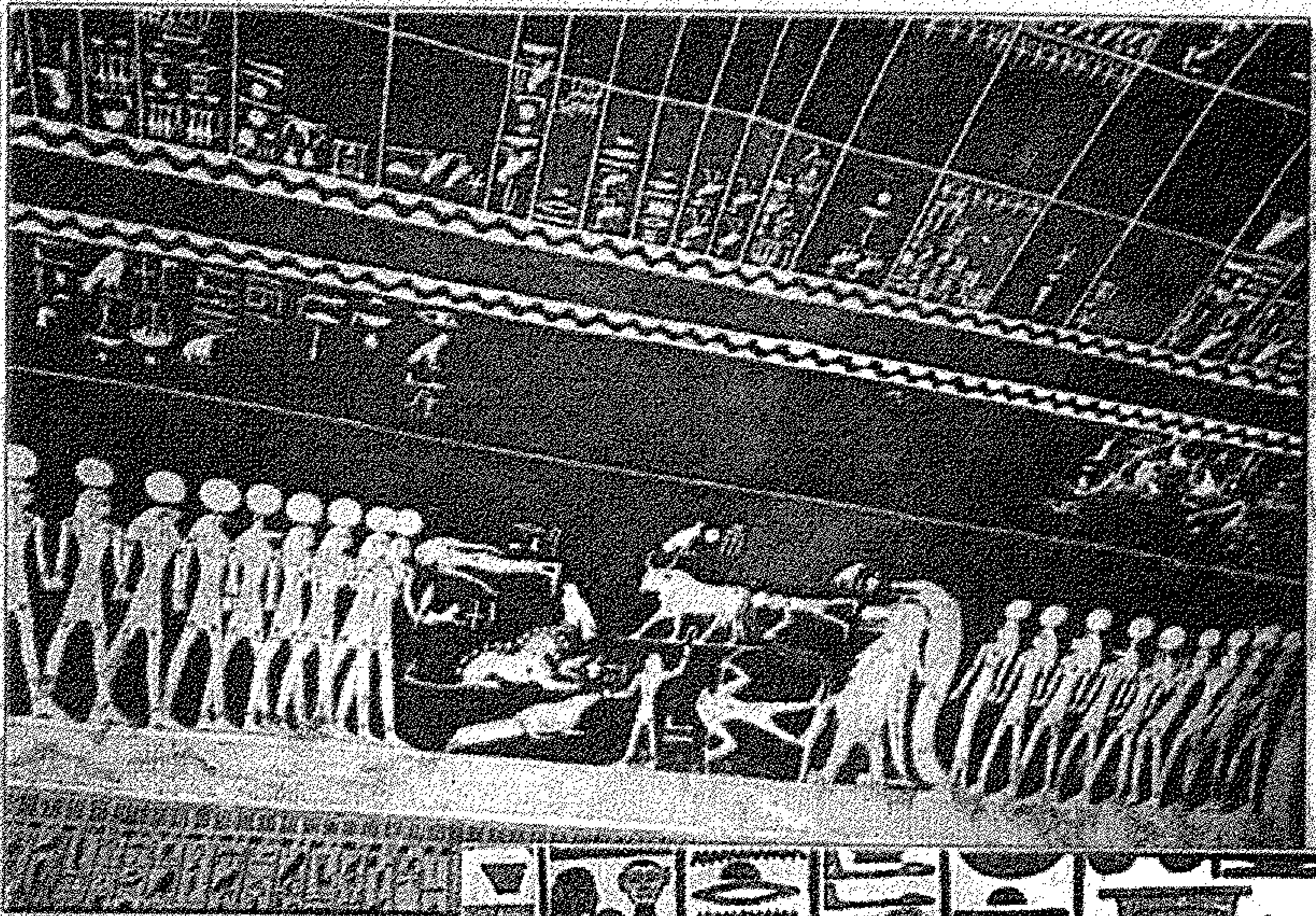

السقف الفلكى

مقبرة سيتى الأول

مقبرة نفرتارى

وادى الملكات

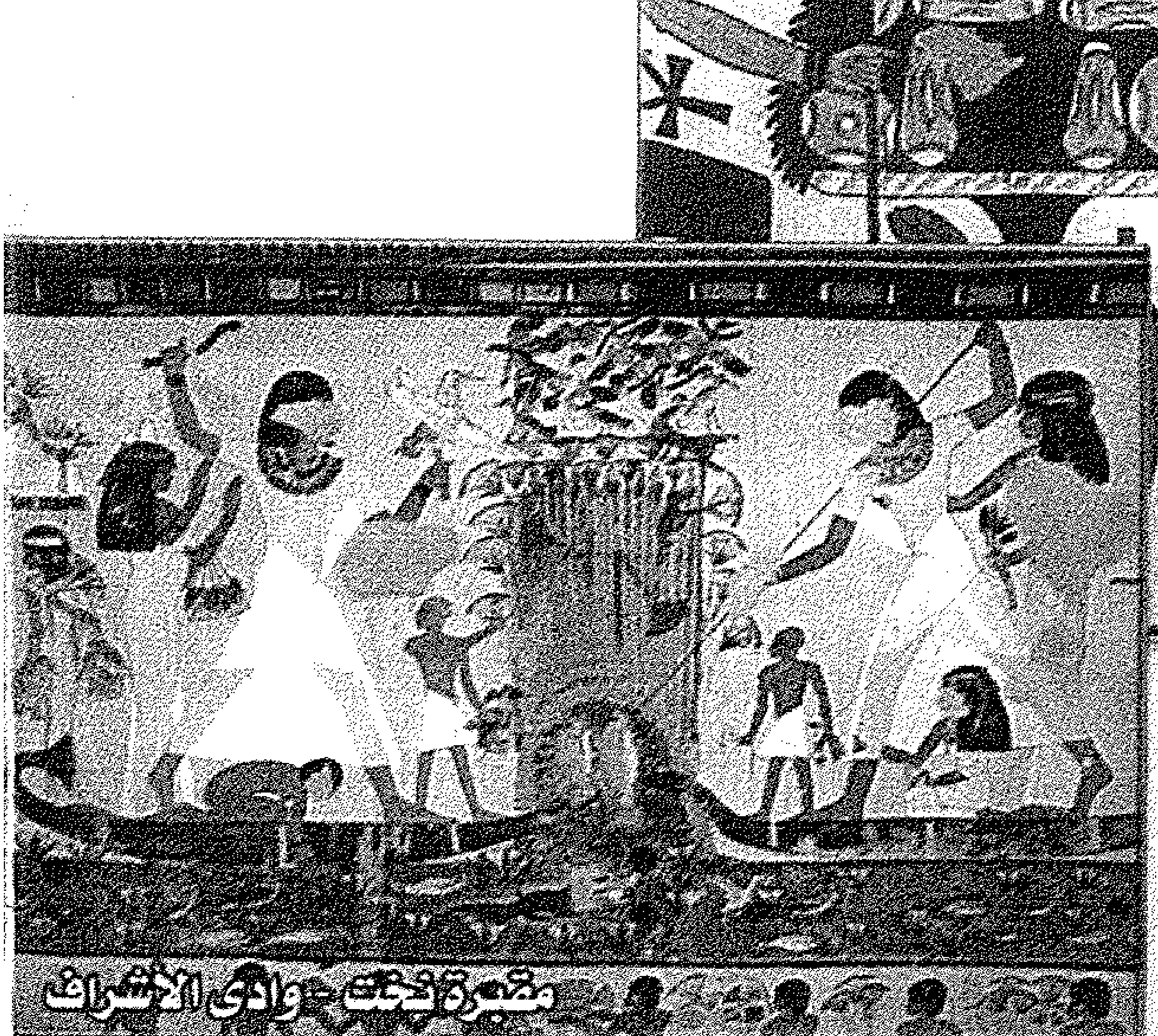

مقبرة نخت - وادى الأشراف

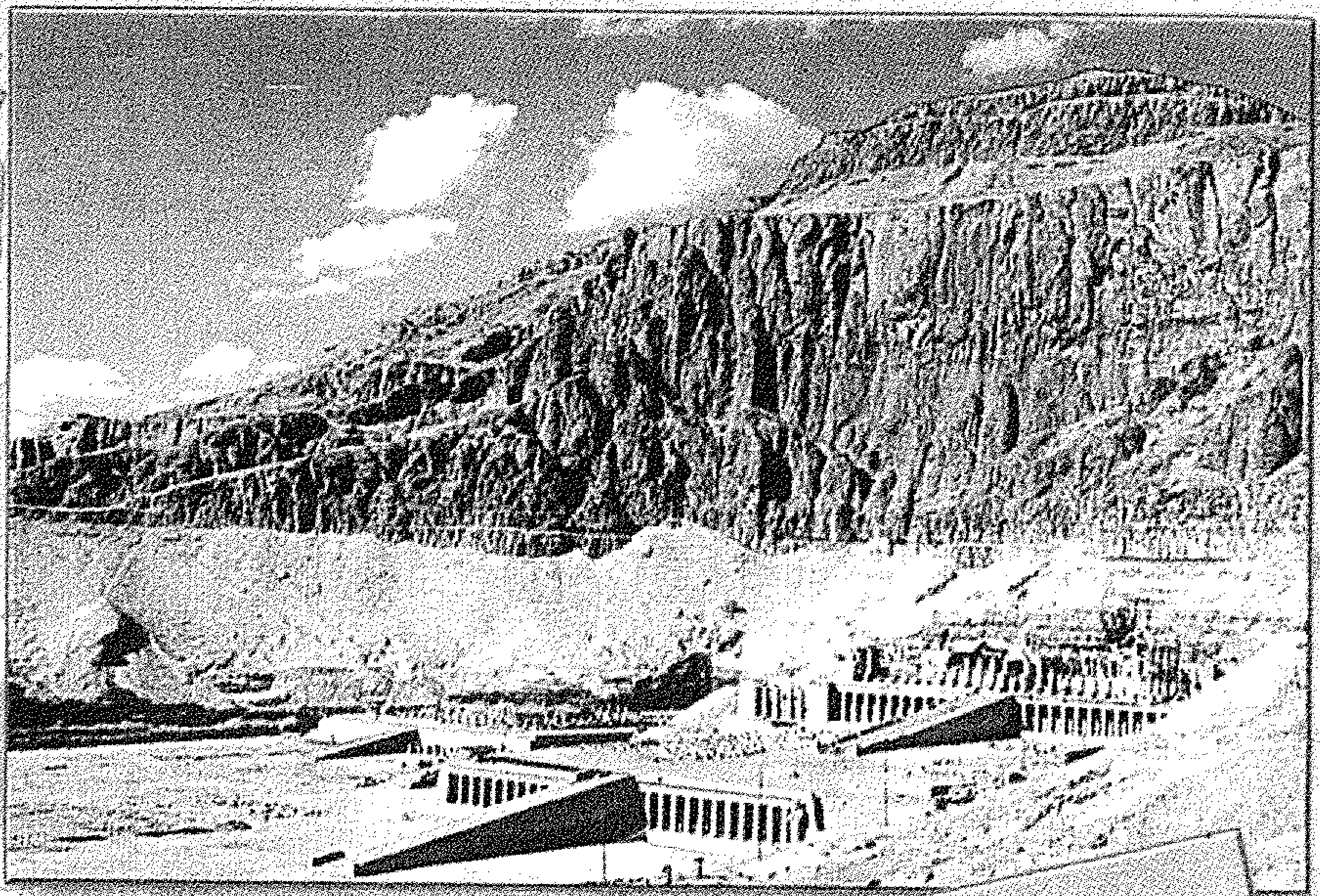

الدير البحرى

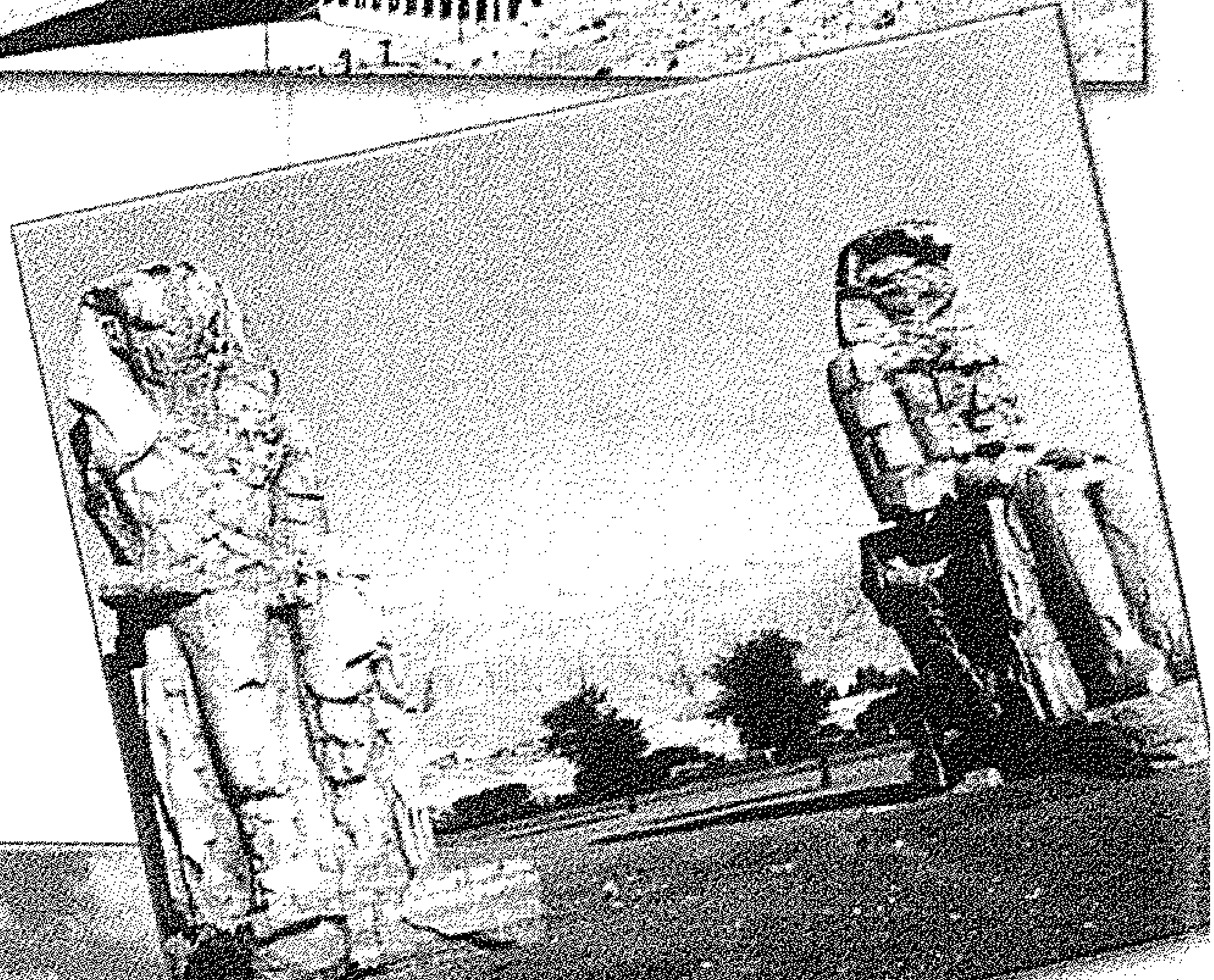

تمثالا آمنحوتب الثالث

واجهة معبد هابو

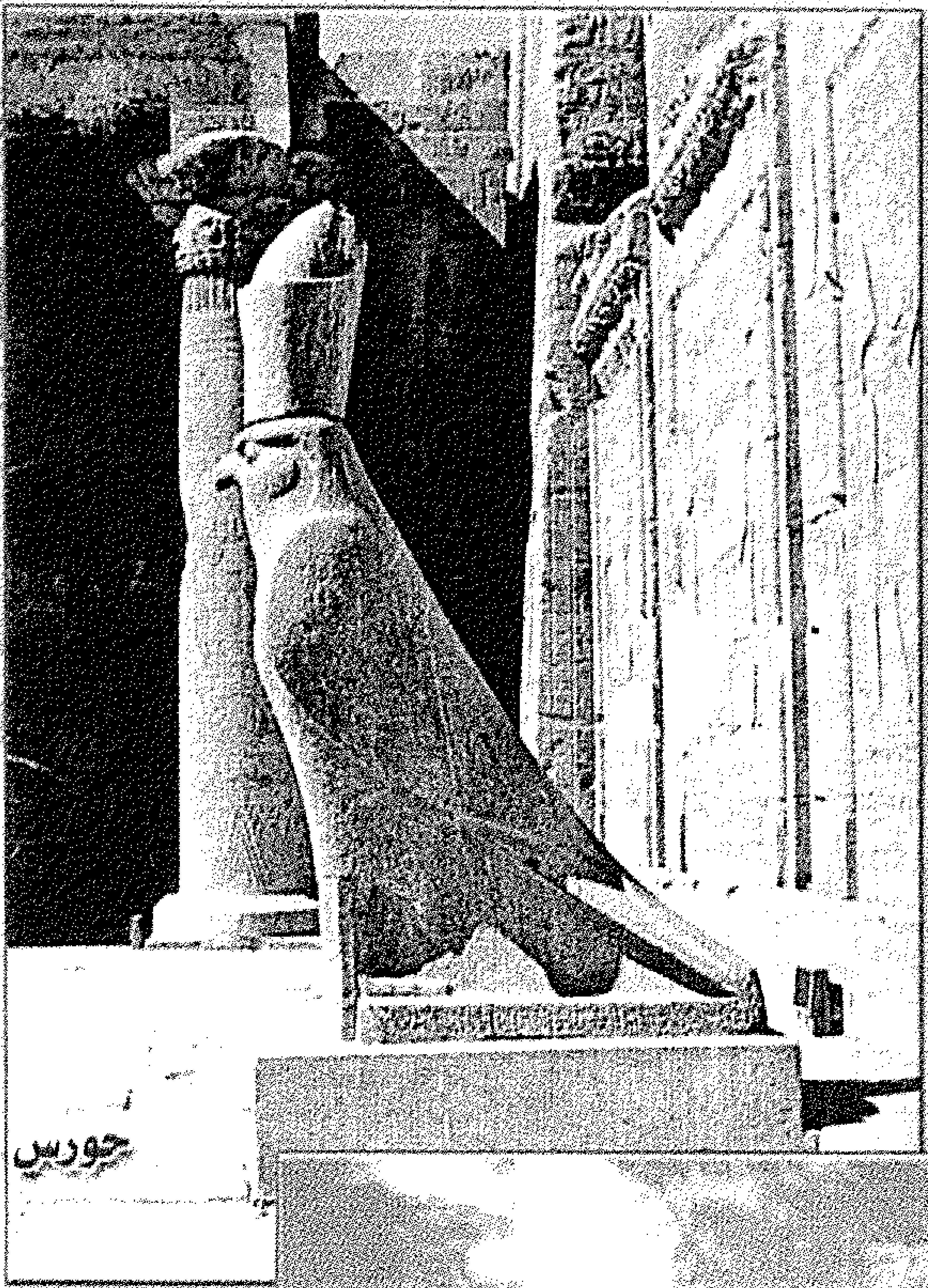

حورس - معبد أدفو

معبد كوم أمبو

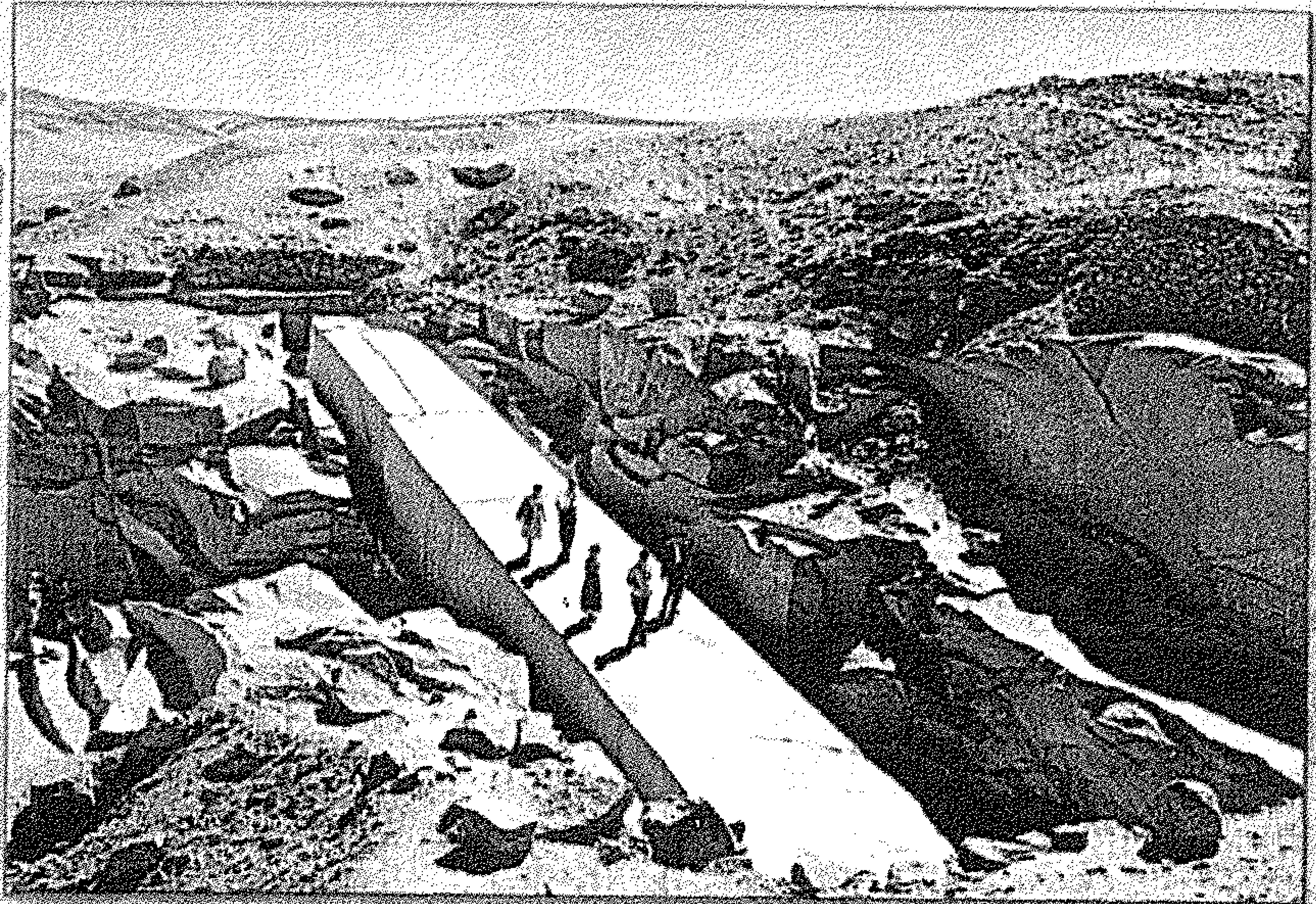

مسلة أسوان

معبد إيزيس

معبد ابو سمبل الصغير

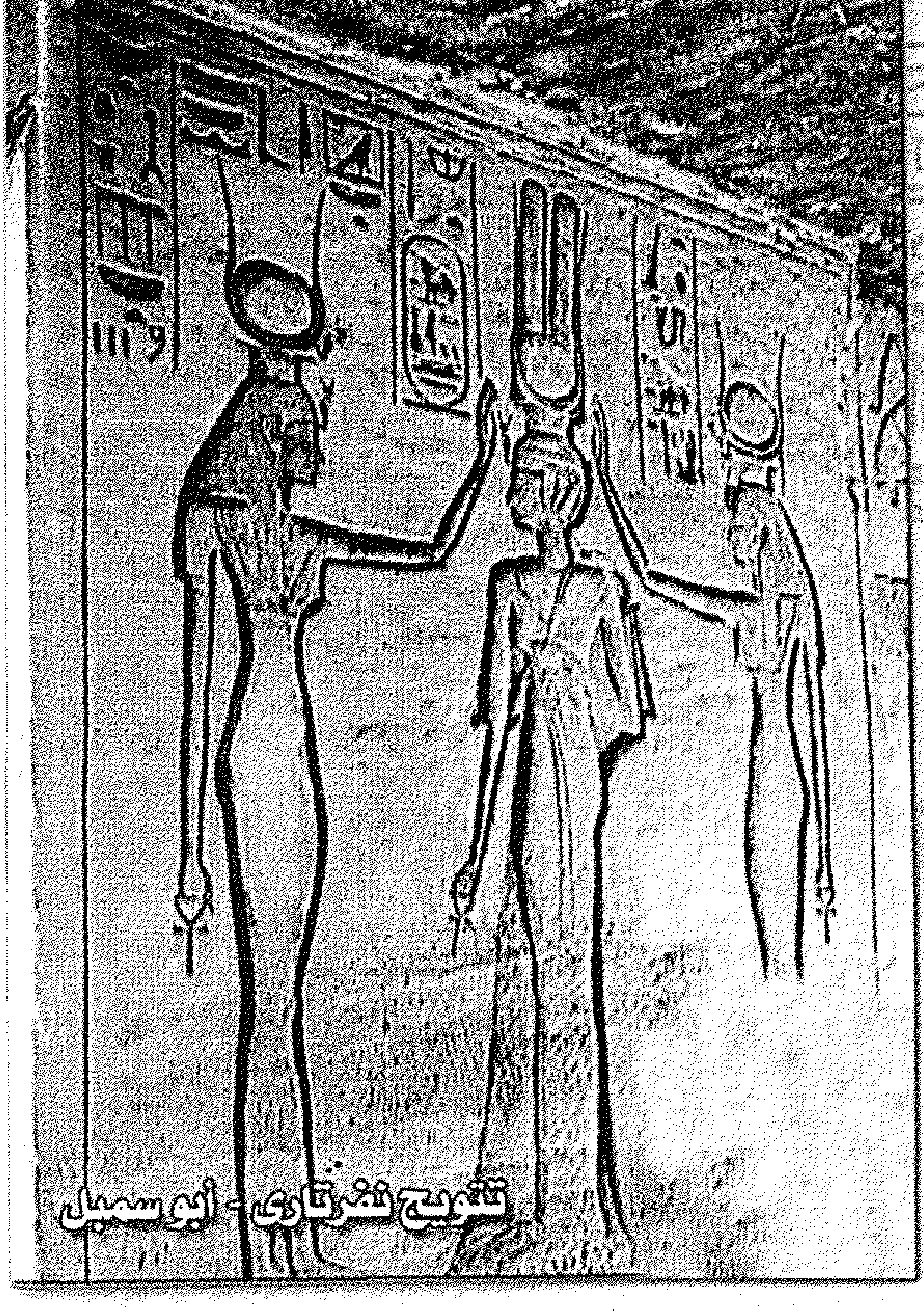

تتويج نفرتاري - أبو سمبل

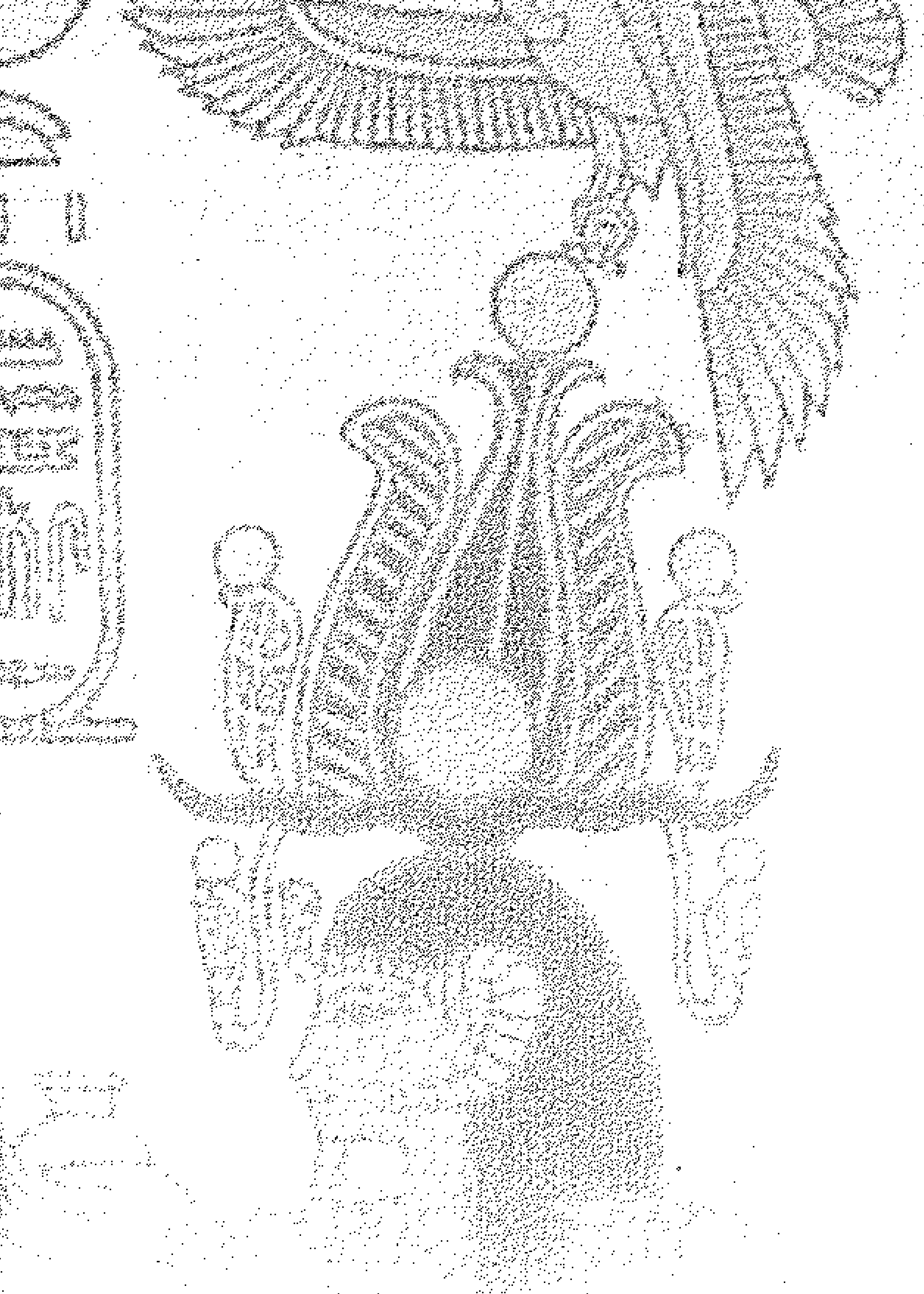

الملك ستي الاول -معبد ابيدوس

ملابسها وجلست على إحدى الوسائد. وفى الحجرة المجاورة تظهر البقرة المقدسة ومن خلفها جبال طيبة، وبمدخل الحجرة التالية، وفى الواجهة تظهر الملكة فـى صحبة الإلهـة "مسكتت" إله الراحة والهدوء، ويظهر بعد ذلك علـى جـدار البهـو كائن خرافي غريـب المظهـر. وفـى الحجـرة الثالثـة إلى اليسـار يوجـد القليـل مـن الرسومات التى لم تكتمل.

مقبرة الأمير "آمون هرخوبشيف Amon herKhopshef"

كان من المتبع فـى العصـر الفرعـونى أن الأمـراء الـذين يتوفـون فـى سـن مبكـرة يدفنون فى مقابر وادى الملكات، ومن بين أهم تلك المقابر وأكثرهـا جاذبيـة وأوضحها نقوشاً والتى يخيل لزائرها أن نقوشها صنعت بالأمس فقط على الرغم من أنها ترجع إلى حوالى عام 1200 ق.م هى مقبرة الأمير أمون هرخوبشيف.

يهبط زائر هذه المقبرة على درج حجرى مكون من عشر درجات قبـل أن يجد نفسه أمام بهو متوسط المساحة غطيت جدرانه برسومات تميزت كما تميـزت جميع التسجيلات المصورة فى أغلب المقابر والمعابد الفرعونية بنسـب وتفاصيل غايـة فـى الدقة والاتقان، وتصـور جـدران المقـبرة كيـف يصـطحب رمسـيس الثالـث ابنـه أمنهـر خبثيف ليقدمه لآلهة العالم الآخـر، والتـى تشـبه آلهـة الحيـاة الـدنيا إلا أن وجـوههم تظهر وقد لونت باللون الأزرق القاتم. وفى الجهـة اليسـرى نـرى الإلهـة حتحـور تقابل رمسيس الثالث بالبشاشة والترحاب يتبعه ابنه، ومن بعـد حتحـور تتـوالى المقابلات مع الآلهـة، غير أن الجميل هنا أنه فى كـل مقابلـة تـتغير ملابـس الملـك وابنه وهى دائمـاً مصـنوعة مـن القمـاش الرقيـق ذى الثنيـات وقد إلتـف الخصر

بالأحزمة الملونة التى تتدلى منها خصلة من الحرير المتعدد الألوان، وتطالعنا أيضاً خصلة الشعر التى تدلت على جانب رأس الأمير وقد راحت تتشكل من مقابلة لأخرى.

ومن البهو نصل إلى بوابة تقف على جانبيها الإلهتان "إيزيس ونفتيس"، وقد راحا يسكبان الماء العذب، ويعرض المر التالى قصة بوابات جهنم حيث يقف على كل بوابة حيوان غريب الشكل لحراسته، أما الكتابة التى دونت إلى جانب الرسم فتضم التراتيل السحرية التى تمكن المتوفى بعد ترديدها من اجتياز الأبواب دون أن يلحق به الأذى.

وعندما نصل إلى حجرة الدفن نرى داخلها تابوتا من الجرانيت له جدران سميكة، وفى الركن الأيمن وضع صندوق زجاجى به ما تبقى من جثمان الأمير الصغير.

مقبرة الملكة نفرتارى Nefertari

حصلت الملكة نفرتارى على شهرة واسعة كزوجة للفرعون رمسيس الثانى، وصاحبة المعبد المعروف فى أبى سمبل، وقد زاد من تلك الشهرة ما تتمتع به مقبرتها بوادى الملكات من أهمية.

وقد بقيت مقبرة نفرتارى زمناً طويلاً مقبرة مهملة قبل أن يتم إغلاقها تماماً نظراً لتدهور حالتها، ولكنه ولحسن الحظ قامت جمعية لترميم الآثار تحمل اسم "paul Guetty" بإنقاذ هذه التحفة الفنية الرائعة باستخدام طرق

مستحدثة، وبمهارة لا مثيل لها. وبعدما أنفقت الجمعية على أعمال الترميم مبالغ طائلة بمساعدة اليونسكو أمكن أخيراً وضع حد لتسلل المياه الجوفية إلى نقوش المقبرة.

نصل إلى مقبرة نفرّتارى بهبوط بضعة درجات قبل أن تقابلنا النقوش بألوانها الزاهية حيث نجد الملكة مرتدية رداءً جميلاً ملتصقاً بجسدها، وقد أمسكت إلهة السماء حتحور بيدها لتقدمها إلى مجموعة من الآلهة، بينما سّجل على أحد الجدران مشهد يمثل نفرتارى وهى تؤدى فروض الطاعة لسبع بقرات وثور مؤلهين يعبرون ممراً مائياً، حيث تظهر المجاديف بأسفل المشهد، وتختلف ألوان البقرات إذ أن لكل منها لونها المميز، ومن فوق رؤوسهم دونت بالهيروغليفية بعض التفسيرات للمشهد، وفى مشهد آخر نشاهد الإلهة حتحور وهى تقدم رمز الحياة "عنخ" للملكة نفرتارى، حيث تقربه من أنفها كى يبعث فى جسدها الحياة، وهنا تظهر الملكة وقد ارتدت رداء أبيض يمتلئ بالثنيات على خلفية بيضاء.

أما التابوت الملكى، فتحرسه الإلهة إيزيس وأختها نفتيس، وفى أعلى الممر المؤدى إلى حجرة الدفن وبأزهى الألوان نرى الإلهة "ماعت Matt" إلهة الحكمة والكتابة جالسة – حيث نتعرف عليها من الريشة الموضوعة على رأسها – وقد فردت جناحيها الواسعين لتأكيد حمايتها لجسد الملكة نفرتارى.

وأخيراً تظهر نفرتارى جالسة فى مقصورة وأمامها لعبة الشطرنج التى كان الفراعنة يعرفونها منذ عصر الدولة القديمة، كما هو ثابت فى مقبرة "مريروكا" بسقارة، ومن المشاهد الجميلة إلى جانب المشهد السابق مشهد يصور

الملكة راكعة وقد رفعت يديها تصلى وتردد العبارات المنقوشة أمامها ومن خلفها يقف قرينها "البا Ba".

مقابر النبلاء "وادي الأشراف"

مقبرة سن نوفر

توجد هذه المقبرة على مرتفع من الهضبة، حيث تم نحتها بعمق يصل إلى أكثر من ثلاثين متراً، وتشتهر بأنها من المقابر القليلة التى صورت فيها الجنة برسومات ملونة على جدران ملساء، أما سقف المقبرة فلم يمهد حيث استغل الفنان المصرى الجزء البارز منه في نحت عناقيد تتدلى من كرمة وارفة. كما صور الفنان بعض المشاهد لصاحب المقبرة وزوجته وهما يتلقيان القرابين.

مقبرة رع موسى

وتعد من أكبر مقابر النبلاء بالأقصر، وتحتوى مجموعة من أهم مشاهد الاحتفالات الجنائزية المنحوتة فى الحجر الجيرى، حيث نلاحظ شفافية الملابس التى نشاهد من خلالها تفاصيل جسد من يرتديها، ونلاحظ كذلك أن الأعين والحواجب فقط قد لونت باللون الأسود، وفى أحد الحوائط تم نحت مشهد نرى من خلاله موكباً جنائزيا يسبقه التابوت، ونرى السيدات يندبن ويبكين وقد راحت دموعهم تنهمر بلون أحمر قانى، ويلى ذلك مشهد لحاملى الزهور والملابس والمفروشات والأثاثات الجنائزية التى سيتم وضعها بالمقبرة. وفى الحائط التالى نلاحظ أن الفنان قد بدأ برسم تسعة عشر مربعاً متساوياً بلون أحمر قبل أن

يشرع فى رسم المشهد حتى يتمكن من المحافظة على النسب الصحيحة للوحته، وكانت هذه هى الطريقة المتبعة فى ذلك الوقت.

أما حجرة الدفن فرسوماتها لم يقدر لها أن تتم، لذلك فهى فارغة إلا من بعض المشاهد المتهدمة، وحينما ندقق النظر قليلاً يمكننا أن نرى الفرعون آمنحوتب الرابع "أخناتون" يجلس على عرشه أسفل مقصورة جميلة يحميها ثعبان الكوبرا، وإذا ما تقدمنا قليلاً سنشاهد إخناتون وزوجته الملكة نفرتيتى يقفان أسفل مقصورة مرتفعة ويقذفان بحلقات الذهب لكبار الشخصيات من مختلف أقاليم الإمبراطورية المصرية.

مقبرة نخت

تعد مقبرة نخت من أشهر مقابر وادى الأشراف إذ تكثر بها برغم صغر حجمها المشاهد المهمة، فنجد صاحب المقبرة جالساً بينما يقوم الفلاحون بقياس الحقل الذى نضج فيه القمح، لتقدير الضرائب على المحصول، ونرى النبيلات يتجملن بمساعدة بنات من الخدم، وبجوارهن نرى العازفات ونلاحظ الشعر المستعار المثبتة فوقه أقماع العطور، بينما يجلس أرضاً عازف القيثارة الضرير، وقد ترك لنا إحدى أغنياته التى تخالف شيئاً ما العقيدة المصرية القديمة المؤمنة إيماناً قاطعاً بالبعث إذ يقول:

"لنستمتع بحياتنا فإننا لا نعرف ما ينتظرنا غداً.. لقد ذهب الكثيرون ولم يعودوا.. إننا لا نعرف بالضبط ما الذى ينتظرنا".

ويلي المشهد السابق مشهد يمثل صاحب الاحتفال جالساً على أحد المقاعد، ومن الطريف أننا نلاحظ قطة جالسة أسفل المقعد وبين مخالبها سمكة تقوم بالتهامها، وعلى حائط آخر مشهد لصيد الطيور يبين صاحب المقبرة بداخل مركب صغير إلى جانب رسومات جنى الكروم وعصرها بالأرجل — وهى الطريقة التى كانت متبعة فى أوربا فى العصور الوسطي- ثم مشهد تعبئة العصير فى آنية خاصة تمهيداً لصنع النبيذ.

تمثالا آمنحوتب الثالث Memnon Colosse

فى نهاية زيارة غرب طيبة حيث المبانى الجنائزية، يمر الزائر على تمثالين غاية فى الضخامة، وهما للفرعون آمنحوتب الثالث الذى أقامهما ليكونا فى مدخل المدينة الجنائزية الخاصة به والتى لم يتبق منها إلا هذان التمثالان اللذان تأثرا بالزلازل فسقطت منهما بعض الأجزاء، إلا أن الترميم قد طالهما فى زمن لاحق.

وحينما جاء البطالمة إلى مصر نسبوا التمثالين إلى الإله "ممنون" الذى قتل فى موقعة "ترويا"، وتخيلوا أن الأصوات الصادرة عن تبخر الندى داخل شروخ التمثالين فى ساعات الصباح الأولى ما هى إلا بكاء أمه الإلهة "أورورا"، وفى العصر الرومانى حج أباطرة روما إلى التمثالين متأثرين بالرواية البطلمية. ويحكى أن الإمبراطور "هيدريانوس" حج إلى هذين التمثالين وفى طريقه إليهما غرق أحد الصبية المصاحبين له فى مياه النيل، فأمر ببناء مدينة فى الموضع الذى شهد غرقه حيث أقيمت مدينة "أنتينوبوليس" التى نسبت إلى الصبى وكان أسمه "أنتينو". وعلى قاعدة أحد التمثالين دونت شاعرة يونانية مقطوعة شعرية ركيكة.

ويرتفع التمثالان إلى حوالى ثمانية عشر متراً، وكل قاعدة مصنوعة من قطعة واحدة من الحجر نقشت عليها صورة الملكة "تى" زوجة آمنحوتب الثالث واقفة إلى جوار العرش.

الدير البحري

أقامت الملكة حتشبسوت مستعينة بمهندسها المعمارى "سنن نوت Senen nout"، فى صحراء طيبة، شكلا جديداً من أشكال المعابد الفرعونية حيث تم نحت المعبد الخاص بها فى باطن صخور الجبل.

وللمعبد ثلاث مدرجات صاعدة، لكل مدرج جناحان من الأبنية تتقدمها أعمدة مربعة الشكل، وعلى حوائط الجناح الأيمن مشهد صيد لا يزال محتفظا إلى الآن ببعض ألوانه، وفى الجناح التالى بعض المشاهد التى نتعرف منها على كيفية نقل مسلات حتشبسوت من محاجرها فى أسوان إلى المواضع المختارة لها، حيث استخدم لذلك مركب خشبى ضخم تعاونه أربعة مراكب أصغر حجماً.

وبين نقوش الطابق الأوسط تطالعنا النظرية التى كانت حتشبسوت أول من استخدمها فى تبرير الجلوس على العرش وإثبات الأحقية فى تولى مقاليد الحكم. حيث تظهر الملكة أحمس والدة حتشبسوت وقد جلست إلى جوار الإله آمون جلسة تشى بالحميمية والتقارب بما يعنى اقترانهما. ويعتبر ذلك أول ظهور لهذا الشكل من الزواج بين الآلهة والبشر "Theogamy". وعقب مشهد الاقتران نجد مشهداً للملكة أحمس وقد انتفخت بطنها تعبيراً عن حملها للملكة

حتشبسوت التى تكون بـذلك قـد جـاءت إلى الـدنيا مـن سـلالة إلهيـة كابنـة لألـه الشمس آمون رع.

وليس غريبا بعد ذلك أن نرى بين النقوش البقرة المقدسـة حتحـور تقـوم بإرضاع حتشبسوت، بينما تعمل مجموعة أخرى من الآلهـة علـى إكسـابها صفات الألوهية ورعايتها، ومن بينهم الإله "أوب وات obwat" الذى يسير أمامها دافعا حجرا ضخما بقصد تمهيد الأرض لها وإزالة كل ما يمكنه عرقلة مسيرتـها.

أما الجناح الأيسر فقد أرادت حتشبسوت أن تسجل عليه أخبار رحلتهـا التجارية إلى بلاد بنت –الصـومال حاليـاً– حيـث أرسـلت إلى هنـاك خمـس سـفن محملة بالمصنوعات المصرية لمبادلتها بمنتجات تلك البلاد من المواد الخام.وقد صور الفنان المصرى الكثير من تفاصيل تلك الرحلة، فنرى أمير بنـت وزوجتـه يسـعيان إلى استقبال رئيس البعثة المصرية، ونرى السفن وهى تفرغ شحنتها علـى الشـاطئ قبل أن تعود لتحميلها بمنتجات بنت المختلفة. كما يصور لنا الفنان المصرى طبيعة الحياة فى تلك البلاد البعيدة حيـث الأشـجار الاسـتوائية المتشـابكة والحيوانـات البرية والمنازل المشيدة على أعمدة خشبية بسبب غزارة الأمطار.

معبد الرامسيوم

شيد رمسيس الثانى معبد الراميسيوم، وأقام فى الفناء الذى يلى الصـرح تمثالاً ضخماً من الجرانيت ظل قائماً فـى موضـعه حتـى العصـر الرومـانى قبـل أن يسقط ويتهشم جزء كبير منه. ومن الأجزاء المتبقية فى موضـعها يتضـح لنـا مـدى

ضخامة هذا التمثال الذى كان وزنه يتجاوز مائة طن.

غاص الصرح الأمامى للمعبد فى الأرض المنحدرة واختفى ما تبقى منه خلف الحشائش البرية. وعلى ما تبقى من صرحه الثانى، سجل رمسيس الثانى أداءه لفروض الطاعة أمام ثالوث طيبة بمنحوتات رائعة على الحجر الجيرى ناصع البياض. وعلى الحائط الخلفى لهذا الصرح، سُجلت من جديد أحداث موقعة قادش حيث نرى فى أقصى اليمين إحدى القلاع وقد تساقطت جثث الأعداء التى تخترقها السهام. ونرى بعض جنود رمسيس الثانى وقد سقط فى المياه بينما يعمل البعض الآخر على إنقاذه. ويظهر الفرعون شامخاً وسط المعركة وقد اصطف أبناؤه ـ الذين نتعرف عليهم من خصلة الشعر الجانبية التى تتدلى فوق وجناتهم – فى نظام وثبات وسط الجنود.

ترتفع أرضية المعبد كلما تقدمنا إلى الداخل حيث نمر ببهو الأعمدة الذى لا يخلو من نقوش تعبر فى مجملها عن صور الخشوع والولاء لآمون. وفى الأسفل إلى اليمين وإلى اليسار يُظهر رمسيس عدداً من أبنائه ممسكين بالرماح وعدداً من بناته ممسكات بأغصان الأشجار. وبأقصى المر يوجد بهو مربع الشكل تظهر على جدرانه مشاهد رحلة نيلية بمراكب شراعية.

وقد بقى من معبد الفرعون سيتى والد رمسيس الثانى أجزاء من بعض الأعمدة تم نقلها إلى معبد الرامسيوم، أما المبانى المقامة من الطوب الأحمر حول المعبد فتعد موضعاً للتخزين وهى ذات مداخل مستديرة.

مدينة هابو

أراد رمسيس الثالث أن يقلد أباه رمسيس الثانى فى ضخامة الأبنية والاهتمام المبالغ فيه بالتشييد، فأقام هذا المعبد المتكامل، وجاء من بعده رمسيس الرابع فأضاف عند المدخل بوابة عظيمة تحمل اسمه وصورته وهو يؤدب مجموعة من القبائل الخارجة على حكمة، أما أعلى البوابة، فيضم حجرة داخلية بها بعض الرسومات غير المألوفة والتى تصور واحدة منها الفرعون مختليا بزوجته وقد راح يداعبها فى مودة وعطف. ويظهر فى طريقة بناء ذلك الحصن تأثر الفنان المصرى بطريقة تشييد الحصون السورية.

وعلى مقربة من الحصن توجد ثلاث مقصورات لأخوات وبنات ملوك الأسرتين التاسعة عشر والعشرين المؤلهات "منيرديس نيتوكريس Menardis Nitocris"، فعندما هاجم الحيثيون – السوريون – الحدود الشمالية الشرقية لمصر، رحل الفراعنة على رأس جيوشهم ليصدوا جيوش الحيثيين تاركين إدارة البلاد فى طيبة بين أيدى كهنة آمون الذين سرعان ما استغلوا الفرصة المتاحة لهم وراحوا يزيدون من سلطاتهم إلى حد كتابة أسمائهم داخل الخرطوشة الملكية التى لا تحيط إلا بأسماء الفراعنة، فما كان من الفراعنة المرابطين على الحدود المصرية الآسيوية إلا أنهم فكروا فى حيلة لمعالجة الأوضاع فى عاصمة ملكهم حيث قاموا بمنح بعض بناتهم وأخواتهم لقب زوجة آمون المقدسة مما أتاح لهن السيطرة على كنوز المعابد وتحجيم دور الكهنة.

كما يوجد بالخارج نقش لأقدم موقعة بحرية فى التاريخ وقعت بين

جيوش الفرعون رمسيس الثالث وشعوب البحار. وفـى خـارج المعبـد أيضـا بقيـت بضعة حجرات صغيرة كانت فيما مضى جزءاً مـن القصـر الملكـى وبهـا أيضـاً بهـو العرش. ومن خلف الصرح من تلك الناحية نشاهد بعض المشاهد الفريدة والمهمـة، ففى القمة نشاهد قطعان الغزلان، ويظهر الفرعون رمسيس الثالث ممسكاً بالسـهم والقوس بينما تخترق السهام جسد أحد الثيران، وإلى جواره ثور آخر يرقد متأثراً بجراحه. وفى الأسفل نشاهد بحيرة زاخرة بأنواع الطيور والأسماك فـى رسـومات تنبض بالجمال والحيوية. وفى أحد الأجناب مدخل يؤدى إلى شرفة حيـث يظهـر رمسيس الثالث وهو يترأس مجموعة من كبار رجال الدولة مما يجعلنا نستنتج أن هذا الموضع كان يستخدم فى عقد الاجتماعات الإدارية للبلاد.

أهم الرجال الذين أثروا فى تاريخ مصر الفرعونية

مينـــــــــا: "نعرمر" موحد القطرين وصاحب لوحة التوحيد الشهيرة.

إيمحوتـــــب: الوزير والطبيب والمهندس العبقرى الذى اتخذ منه الشعب إلها للطب والحكمة.

زوســــــر : صاحب أول هرم، وأول بناء حجرى فى التاريخ.

ســــــنفرو: أول من وصل بالهرم إلى شكله الكامل.

خوفـــــــو: صاحب العجيبة الوحيدة الباقية من عجائب الدنيا السبع.

خفـــــــرع: صاحب أهم وأجمل تماثيل المتحف المصرى.

سنوسرت الثانى: صاحب أول قناة تربط بين البحرين الأحمر والمتوسط.

امنمحات الثالث: صاحب معبد هوارة المعروف باسم قصر التيه.

آمنحوتب الثالث: صاحب معبد الأقصر، أهم معابد مصر الفرعونية.

توت عنخ آمون: صاحب المقبرة، والمقتنيات الأشهر على امتداد التاريخ الفرعونى.

تحتمس الثالث: صاحب السبعة عشر انتصاراً، والقائد الذى ابتكر الكثير من الحيل العسكرية.

إخناتون: أول الموحدين، وصاحب الفلسفة العقائدية المتميزة.

سيتى الأول: صاحب أكبر وأعمق مقابر وادى الملوك.

رمسيس الثانى: أكثر الفراعنة تشييداً، وصاحب معبد أبو سمبل.

أهم النساء اللائى أثرن فى تاريخ مصر الفرعونية

حتشبسوت

صاحبة الدير البحرى، وقد حكمت البلاد متضامنة مع أبيها تحتمس الأول، ثم مع أخيها غير الشقيق تحتمس الثانى، قبل أن تُجلس على العرش صبيا صغيراً لبعض الوقت هو تحتمس الثالث بعدما زوجته من ابنتها الأميرة نفرو رع، وبإبعاد تحتمس الثالث انفردت حتشبسوت بالحكم، وظلت حتى مماتها ولمدة اثنين وعشرين عاماً الحاكم الفعلى والوحيد للبلاد، ولتبرير توليها مقاليد الحكم كانت أول من ابتدع قصة الولادة الإلهية التى تبين نقوش الدير البحرى تفاصيلها.

تــى Teye

هى زوجة آمنحوتب الثالث ووالدة اخناتون، والشخصية التى لعبت دوراً مهما فى أحداث عصرها، سواءً بمساعدة زوجها فى إدارة شئون البلاد، أو بالوقوف إلى جوار إخناتون خلال دعوته لعبادة الإله الواحد آتون. وقد تم العثور على مجموعة حجرية للملك آمنحوتب الثالث والملكة تى وأولادهما، وهى المجموعة الضخمة معروضة الآن بالمتحف المصرى. ومن اللافت للنظر فى تلك المجموعة سماح الفرعون بأن يكون تمثال زوجته بحجم يكاد يفوق حجمه إلى جواره.

نفرتيتى

عاشت نفرتيتى فى العاصمة الجديدة التى بناها زوجها إخناتون بعدما هجر طيبة، وفى أخيتاتون وجدت فى مرسم أحد الفنانين الرأس الجميل التى اشتهرت به. وإن كان هناك رأس آخر لها معروض بالمتحف المصرى، ومصنوع من حجر الكوارتس الذى يميل إلى اللون الخمرى ويوحى بالكثير من الدفء والحيوية، أما الرأس الأول فيعرض بمتحف برلين. وقد وجدنا بين أشعار إخناتون مقطوعة غزلية كان قد أرسلها لها يقول فيها:

"حبك أهدهده فى قلبى

كما يهدهد النسيم العليل

غصون الغاب الرقيقة فى أحضانه"

وقد انتقلت نفرتيتى عقب وفاة زوجها إلى القصر الشمالى فى أخيتاتون، حيث قامت برعاية الفرعون توت عنخ آمون وتوجيهه إلى العودة لطيبة اتقاء لغضب كهنة آمون.

نفرتارى

هى زوجة رمسيس الثانى، وصاحبة المعبد الصغير فى أبى سنبل، ومقبرة نفرتارى واحدة من أهم وأجمل مقابر وادى الملكات، حيث تنتشر صورها

في مختلف الأوضاع بما يشي بجمالها ومكانتها لدى الفرعون.

كليوباترا السابعة

هى آخر ملوك البطالمة، وقد جاءت إلى الحكم متضامنة مع أخيها الصغير، غير أن رجال البلاد اظهروا انحيازهم إلى أخيها بطليموس الرابع عشر، مما دفعها إلى الهروب صوب الصحراء الشرقية، حيث كونت جيشاً بغرض السيطرة على الحكم. وعندما جاء يوليوس قيصر إلى مصر طلب أن يستمع إلى كل من بطليموس وكليوباترا ليفصل بينهما، وكان رجال البلاط قد حسموا أمرهم على قتل كليوباترا وقيصر معاً إذا ما اتضح ميله لمناصرتها، الأمر الذى كاد أن يحدث لولا أن أمر قيصر جنوده بإشعال النيران فى أسطوله الراسى على شاطئ الإسكندرية، وهو الحريق الشهير الذى قضى على مكتبة الإسكندرية فى ذلك الوقت.

تزوجت كليوباترا من قيصر عقب انتصاره لها على أخيها ورجال البلاط، وأنجبت له قيصرون، وبعد مقتله تزوجت من أنطونيوس حاكم المنطقة الشرقية من الإمبراطورية الرومانية، وأنجبت له توأم الشمس والقمر. وتمكنت بدهائها من مشاركته الحكم. وعندما علم أكتافيوس بالأمر بعث بأسطول قهر أنطونيوس فى موقعة أكتيوم البحرية، وعندما لم تنجح كليوباترا فى مساندة أسطول زوجها آثرت الانتحار فى نهاية الأمر.

الطريق إلى أسوان

5

معبد إسنا

كان ذلك المعبد عند إنشائه محاطاً بنوع من الخنادق التى تملؤها المياه لمنع الحشرات والحيوانات الصغيرة من دخول المعبد، ومن الملاحظ أن الأبنية المتبقية من المعبد توجد على عمق تسعة أمتار من مستوى المدينة الحالية، والواجهة تبين كيف يتطهر الفرعون بالمياه المقدسة التى تسكبها له آلهة المعبد المخصص لعبادة الثالوت "خنوم ونبتو ومنهيت".

ويحمل الجانب الشمالى من الخارج مشاهد تُظهر الفرعون وهو يقضى على "الشر" فى أشكال مختلفة، فمرة على شكل سلحفاة، وأخرى على هيئة ثعبان. كما نرى مشهدا للفرعون وهو يؤدب بعض العصاة ممسكاً بهم من خصلات

شعرهم، وفى قاعة الأعمدة، التى تضم أربعة وعشرين عموداً، مشهد يبين كيف يصطاد الملك الشرور بإحدى الشباك. وعندما نرفع بصرنا إلى تيجان تلك الأعمدة لا نملك إلا أن نقدر العناية التى أولاها لها صانعوها، فأحدها على هيئة سعف النخيل، والآخر على هيئة ورق وعناقيد العنب. وعند الممر الأوسط نحت فى الحجر ضفدع جالس على أحد الأعمدة ببروز واضح.

معبد أدفو

شيد آمنحوتب الثالث معبده فى هذه المنطقة على أطلال معبد قديم كان قائماً منذ زمن الملك زوسر، ثم جاء البطالمة وأضافوا بعض الأبنية، كما أدخلوا بعض التعديلات على الأبنية السابقة عليهم، ويعتبر ذلك المعبد من أجمل الآثار التى خلفها البطالمة الذين عبدوا الآلهة المصرية بعد أن أدمجوها مع آلهتهم، ويعتبر معبد أدفو بنقوشه المتنوعة من أكمل المعابد التى شيدت فى العصر البطلمى.

يبدأ المعبد بصرح كبير شامخ يحمل صور بطليموس الثالث عشر وقد أمسك بأعدائه من خصلات شعرهم بينما هم راكعون أمام الإله حورس وزوجته الإلهة حتحور، وواجهة المعبد تحمل قصة قرص الشمس المجنح والتى تحكى تفاصيلها أن الإله آمون كان فى رحلة نيلية فهاجمته أفراس النهر، وعندما لم يتمكن من الخلاص منها بعث يستنجد بالإله حورس الذى فكر فى كيفية تخليصه منها وجعل نفسه فى هيئة قرص شمس، ثم أرسل أشعته الحارقة إلى موضع أفراس النهر فقضى عليها. ومنذ ذلك الوقت أمر الإله آمون بأن يوضع قرص

الشمس المجنح على كل معابده كحارس لها.

وأمام هذا الصرح نجد أحد تماثيل حورس. وعندما نتقدم إلى البهو الكبير تطالعنا أسفل الجانب الأيمن مشاهد المسيرة السنوية التى يقوم بها الكهنة حاملين تمثال حتحور من دندرة على أحد المراكب لمقابلة زوجها حورس الذى يخرج من معبده فى أدفو لاستقبالها والعودة بها إلى مقر إقامته بالمعبد، وتفاصيل هذا الاحتفال منحوتة في جدران البهو بكل دقة وإسهاب حيث نرى المراكب المقدسة التي تحمل تمثالى الالهين تتقدمها الرايات، وقد كان الشعب المصرى يعتبر هذا الاحتفال من أكبر وأهم الاحتفالات الشعبية فى ذلك الوقت.

وعلى جانبى البهو صفين من الأساطين منحوت عليها عبارات ومشاهد دينية، وعلى واجهة البهو نجد المشهد الذى طالما يتكرر فى المعابد الفرعونية حيث يقف الفرعون للتطهر بين الآلهة التى تسكب له المياه المقدسة، وقد تساقطت قطراتها من الماء على هيئة "عنخ" رمز الحياة الأبدية، وعلى الجانب الأيسر نرى حتحور تقدم صولجان مصنوع من "الإليكتروم Electrum"- وهو خليط من المعادن النفيسة - إلى إله المعبد وحارس بهو الأساطين، كما نرى حورس واقفا وقد ارتدى تاج الوجهين القبلي والبحرى، وارتسمت على وجهه ملامح الصرامة، وكلمة حورس فى الهيروغليفية تعنى "صاحب النظرة الخارقة". أما الحجرتان الواقعتان خلف الجدار الواصل بين الأعمدة، فإحداهما كانت تستخدم كمكتبة لحفظ لفائف البردى، والأخرى كانت تستخدم كحجرة للتطهر قبل أداء الصلوات والطقوس الدينية، وفى هذا المعبد كانت تقام عدة احتفالات أهمها عيد رأس السنة

الجديدة، وعيد النصر على إله الشر "ست" وعيد تتويج الملك، هذا إلى جانب عيد الزواج أو التلاقى بين حورس وزوجته حتحور، وبإحدى الحجرتين نقوش تبين كيفية صناعة العطور.

وفى أقصى المعبد يوجد قدس الأقداس، وقد كان محاطاً فى الماضى بممر دائرى حتى لا يمر الكهنة من أمامه فيزعجون الإله، وهو يحتوى على مقصورة رائعة من الجرانيت المصقول، وجميع الطقوس التى تقام فى هذا المكان مرسومة على الحائط وملونة، حيث نشاهد كيف يستأذن الكاهن فى دخول قدس القداس بعدما يركع أمام المقصورة، وكيف يقوم بفتح الباب على مصراعيه قبل أن يبخر تمثال الإله ويدهنه بالزيوت التسعة المقدسة، وكيف يتبع هذا العمل بالصلاة ثم يغلق الباب وينسحب.

ومن أهم المشاهد التى يجب ملاحظتها فى الممر بين حائط المعبد والسور الخارجى مشاهد انتقام حورس من إله الشر "ست" وهى عبارة عن ثلاثة عشر مشهداً من المسرحية التى ترجمها الروائى الإنجليزى "Fairmon". ومن المعروف أن الكهنة فى مصر القديمة كانوا يرتدون الأقنعة ويقومون بتمثيل أدوار تلك المسرحية أمام المعابد، وكانت هذه هى بداية فن المسرح الذى أمتزج فيه التمثيل فى ذلك العصر بالموسيقى والغناء. ومن الطريف أن الكهنة الذين يؤدون أدوار الآلهة أحياناً ما كانوا مضطرين إلى أداء بعض الرقصات، فنرى على سبيل المثال الإله "بس" على هيئة قزم برأس أسد وهو يؤدى رقصة مرحة ممسكاً بقيثارته.

معبد كوم أمبو

يقع المعبد على إحدى مرتفعات منطقة كوم أمبو، وقد شيد فى زمن البطالمة والرومان على أطلال معبد تحتمس الثالث، ولهذا المعبد خاصية فريدة من نوعها إذ أن كل المعابد مخصصة لعبادة ثالوث من الآلهة أما هذا المعبد فمخصص لثالوثين ولا يشاركه فى هذا الاختلاف سوى معبد الأشمونين حيث عبادة "الثامود"، ومعبد أون حيث يعبد "التاسوع".

وعند زيارة معبد كوم أمبو، نرتقى الدرج فنصل إلى حائط مرتفع عليه مجموعة من المنحوتات الغائرة، وإذا ما تقدمنا قليلاً نجد أنفسنا أمام جدار هدم أعلاه وبقى الجزء السفلى منه يحمل مشهداً للإمبراطور الرومانى أغسطس وهو يستقبل الآلهة محملاً بالقرابين. وفى الفناء حفرتان صغيرتان كانتا تستخدمان فى تلقى دماء القرابين.

ونلاحظ فى معبد كوم أمبو بشكل عام هذه الازدواجية التى سببتها الإضافات والتعديلات من عصر إلى آخر، فجزء من المعبد مخصص لعبادة ثالوث الإله الفرعونى سوبك "التمساح"، بينما خصص جزء آخر لعبادة الإله الإغريقى "هاروويريس Harooeris – الصقر" ومما يمثل هذا الجزء الحائط الذى يصل بين أعمدة المعبد، حيث نشاهد حفرتين كانتا فى الماضى مرصعتين بالأحجار الكريمة لتمثلا عينى هاروويريس الذى يقف كى يتلقى من الآلهة المصرية تاجى الشمال والجنوب.

وفى أسفل أحد أعمدة المعبد صُور رمز للشعوب المهزومة على هيئة طائر بجناحين ملتفين دليلاً على الضعف والانكسار. والجانب الأيسر من المعبد مكرس للإله هاروويريس، ومن بين مشاهد هذا الجانب مشهد لأحد ملوك البطالمة وقد انشغل بتسجيل اسمه داخل خرطوشة ملكية على ثمرات شجرة الحياة. وحينما نصل إلى قدس الأقداس نجد القاعدة التى كان يوضع عليها تمثال الصقر هاروويريس، وهناك شئ طريف فى الجدار الذى يحيط به ممر يصل إليه الكهنة من حجرة خلفية تمر من تحت الأرض، حتى يمكنهم أن يتولوا التحدث نيابة عن الإله مع الملوك والأمراء الذين يأتون لزيارته وسؤاله المشورة.

وعلى الحائط الخارجى الذى يحيط بالمعبد وفى الجزء الأسفل منه نشاهد القيصر أغسطس راكعاً أمام الإله "إيمحوتب" إله الطب وبينهما لوحة نقش عليها وصف للعديد من الآلات الطبية والجراحية التى كانت مستخدمة فى مصر القديمة، والتى تشبه مثيلاتها من العصر الحديث إلى حد كبير.

وقبل مغادرة هذا المعبد نمر على البئر الذى كانت تستخرج منه مياه الشرب، وكان الكهنة يصلون لمستوى المياه عن طريق درج حلزونى. ولا يفوتنا هنا أن نستمتع بمشهد جميل نرى فيه الفرعون فوق مركبته يخوض المستنقعات لصيد الطيور. ويتبقى أن نذكر أن معبد كوم أمبو كان يحتوى فيما مضى على مكان لتربية التماسيح وفى إحدى مقصوراته تم اكتشاف عدد كبير من التماسيح المحنطة.

أسوان

6

مدينة أسوان

عندما تسير فى الطريق الرئيسى لمدينة أسوان، وهو الطريق الموازى للنيل والذى تحفه أشجار "البامبكس Bambax" بأزهارها الحمراء والبرتقالية، ترى الطريق وقد فرش بالزهور المتساقطة وكأنه بساط أحمر ممتد بطول الطريق.

وفى أسوان الكثير من المشاهد الطبيعية النادرة وبخاصة فى جزيرة النباتات التى يمكن الوصول إليها عن طريق احد المراكب الشراعية، ومن أهم مزارات أسوان السد العالى وقبة الهواء.

ومن أكثر مزارات المدينة تشويقاً زيارة المسلة الغير مكتملة، والتى ما زالت بالمحجر بين الصخور الجرانيتية ويبلغ طولها نحو اثنين وأربعين متراً، بينما لا يقل عرض جانب قاعدتها عن أربعة أمتار، وهى قطعة واحدة ضخمة من

الحجر، وتوضح النقوش تفاصيل الأعمال التى أجريت لفصلها عن الجبل، حيث يتم حفر ثقوب مستطيلة متتابعة توضع فيها قطع خشبية مبللة، فينفلق الحجر من تلقاء نفسه مهما بلغت صلابته، وبجانب المسلة وعلى طولها نجد ما يدل على أن جسم المسلة قد خلص من بين صخور الجبل بواسطة آلة شبيهة بالملعقة الضخمة، ولا ندرى اليوم كيف يمكن أن يحدث ذلك؟!

ولا يزال جانب المسلة متصلاً بالجبل حيث ترقد المسلة فى موضعها غير مكتملة وكان وزنها إذا ما قدر لها الاكتمال سيتجاوز بأى حال من الأحوال الألف طن.

معبد إيزيس "فيلا"

ذكر الكاتب الفرنسي "Pierre loter" أن معبد فيلة يعد بحق "درة مصر"، وفى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تقرر بناء السد العالى لتخزين مياه النيل والحد من مخاطر الفيضان، وهنا علت الأصوات تحذر من الدمار الذى يمكن أن يلحق بمعابد المنطقة الواقعة بين السدين - أسوان والعالي- ومن بينهما معبد إيزيس، وأسرعت الجهات المشتركة في اليونسكو تعد العدة لإنقاذ المعابد الفرعونية فى تلك المنطقة وبدأوا بدراسة تقطيع ونقل معبد إيزيس بجزيرة فيلا.

مشروع إنقاذ المعبد

بعد أن أعدت اليونسكو كل ما يلزم لبدء العمل فى إنقاذ معبد إيزيس.
قامت الشركات المنفذة بعمل سور معدنى مزدوج حول الجزيرة التى تغمرها المياه، ثم قاموا بضخ المياه وسط هذا السور حيث انسابت إلى النهر بينما بقى

الطمى مكوناً حاجزاً يحمى المعبد تمهيداً لنقله إلى جزيـرة "إيجيليكـا Aeglica" التى روعى فى اختيارها وإعدادها أن تكون فى نفس مساحة وتضاريس جزيـرة فيلا من حيث المرتفعات والمنخفضات، وجاءت إحدى الشركات الإيطالية، وقامت بتقطيع أحجار المعبد وترقيمها قبل أن توضع على هضبة قريبـة انتظاراً لانتهـاء أعمال تمهيد الجزيرة الجديدة، وبعـدما انتهـت عمليـات الفك والتمهيـد، أعيـد تركيب المعبد الضخم بكل ما حولـه، حتـى أشجار السنط التـى كانت بـالجزيرة القديمة تم غرسها فى نفس موضعها على الجزيرة الجديدة.

معبد إيزيس "أم الآلهة"

عند الذهاب إلى الجزيرة الجديدة التى أعيد بناء معبد إيزيس عليها نشـاهد إلى اليسار مقصورة صغيرة ذات أعمدة رقيقة وتيجـان حتحوريـة، وهـذه المقصورة قـام بتشييدها أحد آخر ملوك الدولـة الحديثـة وهـو الفرعـون "نيكتـانيبو" لعبـادة الإلهـة حتحور، ويلى ذلك معبد صغير للإلهة إيزيس إلى جـوار مسـار الاحتفـالات الرومـانى الذى تحف به على الجانبين أعمدة تحمل صور الأبـاطرة الرومـان، وتحمـل الجـدران التى تحيط به من الخلف صور أخرى للأباطرة ولكن فى هيئة فراعنة مصريين.

وفى وسط مسار الاحتفالات تنحدر بعض الدرجات إلى الماء حيث يوجـد مقياس للنيل، وإذا ما اقتربنا من الصرح الأول وجدنا أمامه إحدى مسلتين وقاعدة منقوش عليها بعض النصوص، وبجوار المسلة معبد صغير لعبادة الإله "إيمحوتب" إله الطب والحكمة، وعند مرورنا خلال الصرح السميك نجد بعض العبارات التـى نحتها رجال الجيش الفرنسى ليؤكدوا أنهم طاردوا المماليك حتى ذلك الموقع!

وعلى يسار البهو الثانى يوجد بيت الولادة، وهو زاخر بالرسومات الطريفة التى تبين لنا الطقوس المتصلة بالولادة الإلهية. وخارج هذا البناء نفاجأ بوجود صخرة ضخمة فى وسط الأبنية البيضاء تحمل اسم أحد البطالمة، وتذكر كيف جاء إلى هنا وشاهد كل هذه الأبنية المقدسة.

ومن البهو الثانى يمكننا التوجه إلى قدس الأقداس، والذى كان قد تحول إلى كنيسة فى وقت من الأوقات. وعلى عدد من الأعمدة نرى نقوشاً لصلبان. وقبل أن نهم بالانصراف يطالعنا مبنى ذو ارتفاع بسيط كان يستخدم كميناء للمركبة التى تحمل تمثال الإلهة إيزيس طوال زمن الاحتفالات ويسمى " Kiosk tragan" حيث إن مشيده هو الإمبراطور الرومانى "تراجان".

وقد أطلق على الجزيرة التى نقل إليها معبد فيلة اسم جزيرة "أنس الوجود" نسبة إلى قصة أنس الوجود المعروفة فى الأدب العربى، وهى إحدى قصص "ألف ليلة وليلة".

وعند مرسى الجزيرة توجد باحة مسورة كنت طوال عملى بالإرشاد السياحى قد أعتدت أن أروى عندها تفاصيل تلك القصة التى تدور أحداثها حول انس الوجود ونور الصباح ابنة السلطان التى تربطها بأنس الوجود عاطفة قوية، غير أن السلطان يرفض زواجهما لعدم التوافق الاجتماعى بينهما، ويقوم بإبعاد ابنته إلى هذه الجزيرة الوحشة. وتمتد القصة فتحكى كيف بحث أنس الوجود عن محبوبته بمساعدة الوحوش حتى جاءه الرخ يوماً وأخبره بعثوره عليها، وكنهاية أغلب قصص ألف ليلة وليلة تنتهى قصتنا بموافقة الملك على زواج

أنس الوجود من ابنته نور الصباح.

وعلى الجانب الأيمن من الجزيرة بقايا مبنى صغير هو بيت الولادة للإلهة حتحور، حيث نجد نقوش الإله "بس" إله المرح الذى أدخلت عبادته إلى مصر فى مرحلة متأخرة، وهو يصور على شكل قزم برأس أسد يرتدى تاجاً من الريش يتدلى لسانه من فمه ليلعق أى عين حاسدة أو روح شريرة، وفى هذا المبنى الصغير نرى عدة مشاهد لآلهة تعزف على مختلف الآلات الموسيقية كالقيثارة والرق والفلوت، وبينهم الإله بس وقد أمسك بقيثارته وراح يرقص مبتسماً.

معبد كلابشة

عندما نقف فوق جسم السد العالى يطالعنا عن بعد معبد متوسط الحجم هو معبد كلابشة، وقد سمى باسم المنطقة التى نقل إليها، وهو كأغلب المعابد المجاورة تم إنشاؤه على أطلال معبد فرعونى قديم، إذ بقى من العصر الفرعونى حائط يحمل مخطوطات منقوشة باسم الملك تحتمس الثالث.

ويحمل صرح المعبد نقوشاً باللون الأسود وبالخط "المروتى، نسبة إلى مروة عاصمة النوبة، وأغلب المبانى الحديثة نسبياً فى هذا المعبد تعود إلى زمن العصر الرومانى.

واذكر هنا أنه فى أحدى زياراتى لذلك المعبد فوجئت بوجود ثعلب مكتمل السن وقد طوق عنقه بشريط أحمر يتجول بيننا وكأنه جرو أليف، وسألت الحارس عنه، فقال أنه قام باستئناسه!

وعند عودتى إلى المركب شاهدت تمساحاً يَجّهز لاستخلاص جلدة وبيعه، وحينما استفسرت عن الأمر علمت بوجود أعداد وفيرة من التماسيح فى بحيرة السد العالى، حيث تصل أسماك البحيرة التى تمثل الغذاء الرئيسى لها إلى أحجام ضخمة نظراً لتوافر غذائها وقلة حركتها، وقد يصل طول التمساح فى بحيرة السد إلى أكثر من سبعة أمتار.

وأذكر أيضاً أننى شاهدت فى إحدى زياراتى لمنطقة السد العالى بصحبة وفد من منظمة اليونسكو بناءً حجرياً على هيئة زهرة اللوتس كان قد أقامه الروس العاملون فى بناء السد رمزاً للصداقة المصرية الروسية.

أبو سمبل "تتويج الرحلة عبر آثار مصر"

تقطع الطائرة المسافة بين أسوان وأبو سمبل فى أقل من نصف ساعة، بينما تقطع السيارة نفس المسافة فى نحو ثلاث ساعات. ويضم الموقع الأثرى فى أبى سمبل والذى يختلف عن كل المواقع التى قمنا بزيارتها عبر صفحات هذا الكتاب معبدين متجاورين الأول لرمسيس الثانى ومخصص لعبادة "رع حرختى"، والثانى لزوجته الملكة نفرتارى، ومخصص لعبادة الإلهة "حتحور". وكان زوار المعبدين فيما مضى يصلون إليهما عن طريق النيل بواسطة مراكب تسمى "هيدروفيل Hydrpho" وهى أشبه ما تكون بالطائرة المائية.

كان المعبدان مقامين على سفح بحيرة السد العالى فتم رفعهما حوالى أربعة وستين متراً من الجهة الشرقية، وحوالى ثلاثين متراً من الجهة الغربية، وهما محفوران بالكامل فى صخور الجبل حيث أن حجراتهما وأعمدتهما

وتماثيلهما الضخمة ما هـى إلا جـزء مـن ذلـك الجبـل. وقـد تم تقطيعهمـا تحـت إشراف منظمة اليونسكو إلى الآلاف من القطع المرقمة قبـل أن يـتم تركيبهمـا مـرة أخرى فى الموضع المرتفع عن مياه بحيرة السد.

وتعد واجهةّ معبد أبو سمبل الكبير – معبد رمسيس الثاني – من أجمل وأروع لوحات الفن المصرى حيث نشاهد تماثيل رمسـيس الثـانى الأربعـة، والتـى تغطى الواجهة بأكملها، أمـا فيمـا يخـص أحجامهـا، فيكفـى أن نـذكر أن عـرض جبهة التمثال يتجاوز الأربعة ونصف المتر.

ونلاحظ أن رأس أحـد التماثيـل إلى اليسـار قـد سـقط حيـث نقـش عليـه المرتزقة اليونانيون بعض العبارات التى تقول إحداها: "نحن مرتزقة عائدين مـن مراكزنا فى الحدود الجنوبية، وقد تركنا هذه الذكرى".

وفى وسط الواجهة مشهد لإله المعبد رع حرختى وعلى جانبيه رمسـيس الثانى وقد رفع يديه مبتهلاً، وعند الدخول من بوابة المعبـد نـرى علـى الجـانبين مشـاهد الأسـرى مكـبلين بالحبـال وقـد تعـددت جنسـياتهم بـين أفريقـى وليبـى وغيرهما من الجنسيات الأخرى. وداخل البهو يقابلنا صفان من الأعمدة نحت أمام كل منهما تمثال لرمسيس الثانى.

واذكر أننى فى أول زياراتى لهذا المعبد كنت قد قـرأت فـى أحـد اشـهر الكتب السياحية أن هنـاك لوحـة طولهـا أربعـة أمتـار علـى الجانـب الأيسـر مـن الحائط، سجل عليها رمسيس الثانى أعماله المعمارية فى سقارة، ولكنـى فوجئـت

بعدما ذكرت ذلك للوفد السياحي الذى أقوم بمصاحبته بعدم وجود هذه اللوحة، وبعدما تمكنت من إنقاذ الموقف بأن قلت لهم ممازحة بأنها "ربما ضاعت مع العزال" في إشارة إلى نقل المعبد منذ وقت ليس بالطويل، وجدت اللوحة مصادفة بين الأعمدة في أحد الأركان حيث كان الكتاب قد اخطأ في تحديد موقعها بدقة.

وعلى جانب الحائط الداخلى نشاهد رمسيس الثانى وهو يقضى على أسرى الشمال وأسرى الجنوب أمام الإله رع حرختى، وفى الأسفل تقف تسعة من بناته وقد أمسكن بأغصان الشجر، بينما نجد تسعة من أبنائه فى الجهة المقابلة وقد أمسكوا بالقوس والحربة.

وعلى واجهة البهو الواقع خلف الأعمدة، سُجلت موقعة قادش بجميع تفاصيلها، وعلى الواجهة المقابلة نشاهد الملك وهو يصوب الحربة نحو الأعداء، ومما يجعلنا نظن أنه قصد إبراز محاولة التركيز عند التصويب، هيئة ذراعه والقوس والحربة التى أعيد حفرها مرة أخرى على بعد عدة سنتيمترات. ويسجل الحائط الكبير المواجه لموقعة قادش مشاهد ما بعد الانتصار إذ نرى الأسرى ومختلف صنوف الغنائم.

وتوجد فى آخر البهو الأول فتحتان تؤدى إحداهما إلى حجرة صغيرة كانت تستخدم لحفظ المشروبات، بينما تؤدى الأخرى إلى حجرة تحوى العديد من المشاهد والنقوش العقائدية. ويلى ذلك بهو صغير يصور المركبة المقدسة، وكيف أن رمسيس الثانى يحرق البخور أمامها طارداً ما حولها من الأرواح الشريرة، وفى آخر أجزاء المعبد نرى نحتاً لأربعة من الآلهة وقد مثل رمسيس نفسه كواحد

منهم، وفى هذا الموضع جعل رمسيس الثانى أشعة الشمس تسطع على وجهه مرتين كل عام، حيث يبارك الإله رع ذلك التمثال إلى جانب التماثيل الثلاثة الأخرى وهى للإله "بتاح وآمون ورع حرختى".

أما المعبد الصغير – معبد نفرتارى – فقد نحتت تماثيله فى الواجهة على هيئة الإلهة حتحور إلى جانب الملكة نفرتارى ورمسيس الثاني، وجميعهم فى وضع الوقوف بأحجام كبيرة للغاية. وبداخل المعبد الصغير نجد الأعمدة ذات التيجان الحتحورية، وعلى جانبى حائط المدخل نرى الملك في حضور زوجته وقد راح يقدم القرابين للإله آمون رع، وعلى الحائط الكبير إلى اليمين نرى الملك يقدم القرابين لبعض الإلهات، وعلى الحائط المقابل نرى إلهتى جزيرة الفنتين "ساتيس Satis وأنوكيس Anoukis" وهما إلهتى الجندل.

وينتهى المعبد الصغير بقاعة مستطيلة نشاهد فيها مشهداً جماليا للملكة نفرتارى عند تتويجها من إله الشمال بالتاج الأحمر، ومن إله الجنوب بالتاج الأبيض، كما يمكننا مشاهدة تجويف بأحد حوائط القاعة وقد خرج منه تمثال رائع للإلاهة حتحور.

وأخيراً أتمنى أن أكون قد وفقت فى تقدم ما يسهم فى مد بعض الجسور بين القارئ وما تزخر به بلاده من آثار تشهد بعظمة أسلافه، وتفردهم بين جميع شعوب العالم.

عقيلة شيرين

المحتويات

- مقدمة 5
- البداية 7
- الآثار المصرية فى القاهرة وضواحيها 21
- رحلة نيلية 51
- الأقصر 69
- الطريق إلى أسوان 97
- أسوان 03

ت 0123454568 - 0127899112

تليفاكس 086/2377034

www.darelhoda.com

دليل الحضارة المصرية القديمة

تتمتع مصر بأهمية تاريخية بارزة، ورصيد حضاري من الصعب أن يتوافر لأي من بلدان العالم. وقد خلفت حقب التاريخ المتوالية على أرضها، من أقصى شمال الدلتا، إلى أقصى جنوب الوادي، العديد والعديد من الآثار التي تنبأ بعظمة هذه الأرض، وتشهد بتفردها.

وقد حاولت عبر صفحات ذلك الكتاب أن أصطحب القارئ، وأطوف معه بين مختلف عهود التاريخ المصري، من الفرعوني، ومروراً بالبطلمي والروماني والبيزنطي والإسلامي، وصولاً إلى عصرنا الحاضر، من خلال التعرف على ما خلفته تلك الحقب التاريخية من آثار تزدان بها متاحف مصر، ومن معابد وكنائس ومساجد تملئ جنباتها، وتمنحها مكانتها التي لا ينبغي أن يجهلها أهلها.

عقيلة شرين